اقرأ
سلسلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار المعارف

أ. د. محمد سيد أحمد المسير

فكر الشعوب كما تصوره سورة المؤمنون

دار المعارف

اقرأ

سلسلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار المعارف

[٧٢٥]

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة
لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

المسير ، محمد سيد أحمد .
فكر الشعوب كما تصوره سورة المؤمنين .
محمد سيد أحمد المسير .
- ط ١- القاهرة : دار المعارف، ٢٠٠٨ .
١٩٢ص ؛ ١٩ سم . (سلسلة اقرأ) .
تدمك ٣ - ٧٢٢٦ - ٢ - ٠ - ٩٧٧ - ٩٧٨
١- الفلسفة الإسلامية . ٢- الثقافة العربية .
(أ) العنوان .

ديوى ١٨٩,١

رقم الإيداع ١٦٩٦٦ / ٢٠٠٨ ٣٦ / ٢٠٠٨ / ١

تنفيذ المتن والغلاف
بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات
دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

E-mail: maaref@idsc.net.eg -٢٥٧٤٤٩٩٨ فاكس: - ٢٥٧٧٧٠٧٧ هاتف:

أ.د. محمد سيد أحمد المسير

فكر الشعوب كما تصوره سورة المؤمنون



اقرأ

إن الذين عنوا بإنشاء هذه السلسلة ونشرها، لم يفكروا إلا فى شىء واحد، هو نشر الثقافة من حيث هى ثقافة، لا يريدون إلا أن يقرأ أبناء الشعوب العربية. وأن ينتفعوا، وأن تدعوهم هذه القراءة إلى الاستزادة من الثقافة، والطموح إلى حياة عقلية أرقى وأخصب من الحياة العقلية التى نحياها.

طه حسين



أحلام شهرزاد – العدد الأول من سلسلة اقرأ الشهرية صدر عام ١٩٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى..

أما بعد..

فالشــعوب فكر وعقيدة قبل أن تكــون اقتصادا ومادة، وهذا الفكر أو الاعتقاد قد يكون حقا أو باطلا..

وتلك هي قصة الإنسان منذ نشأته، والتاريخ في كافة دروبه ومسالكه صراع بين الحق والباطل..

وهناك مــن ينادى بإرادة الحق، وعلى قمة هؤلاء البشــر- الأنبياء الذيــن اصطفاهم الله تعالى وحملهم أمانة التبليــغ عن الخالق إلى الخلق بدءا بآدم عليه الســلام ومرورا بنوح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم وختاما بسيدنا محمد صلى الله عليهم جميعا وسلم..

وهنــاك من ينادى بإرادة القــوة دون ولاء للحق، وفى مقدمة هؤلاء البشر حكام مستبدون، وطغاة مستكبرون، وفلاسفة مخبولون يعرفهم الناس في كل زمان ومكان..

وســورة المؤمنون إحدى ســور القرآن العظيــم، نزلت قبل الهجرة، وتحمل رقم ثلاث وعشــرين فى ترتيب المصحف الشــريف، وتقع بين ســورتي الحج والنور، وآياتها مائة وثمانى عشرة آية، وتسوق أنماطا من فكر الشعوب على مدى التاريخ..

لقد صاغت سـورة المؤمنون هذا الفكر في مقطوعات بيانية معجزة، وفـي تعبيرات ذات إيقاع نفسـي أخاذ، وإيقاع عقلـي فذ، وفي تعاقب يسلم بعضه لبعض في رفق وأناة وحكمة..

ولم نشـأ أن نخرج عن إطار السورة الكريمة بتفسير موضوعي يصلح أن يوضع في كل سـورة أو يكون أقرب إلى القصص القرآني فتلك مسـألة أخرى لسنا بصددها هنا..

وقد وقفنا خاشـعين أمام آيات السورة الكريمة نوضح المعنى ونجلي الفكرة ونؤكد الحق وندحض الباطل ونتابع مسيرة فكر الشعوب..

وقد جاءت مباحث الكتاب على النحو التالي:

- ثمرات الإيمان.
- دلائل الإيمان.
- فكر قوم نوح عليه السلام.
- فكر قوم هود عليه السلام.
- فكر بني إسرائيل.
- قانون الصراع الفكري.
- الرسالة العامة الخالدة.
- المصير الإنساني.

ونقـدم هـذه المباحث فـي إطار دراسـة الأديان من خـلال القرآن المجيـد، ذلـك الكتاب الخالد الـذي ناقش كل مذهـب، وجادل كل

فرقة، وحاور كل اتجاه بالحجة والبرهان، وكان شعاره المرفوع أمام خصومه جميعا:

﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[1].

﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ﴾[2].

المؤلف

أبو حذيفة

أ. د. محمد سيد أحمد المسير

أستاذ العقيدة والفلسفة- كلية أصول الدين

جامعة الأزهر

---

(١) سورة النمل- الآية ٦٤.

(٢) سورة الأنعام- الآية ١٤٨.

ثمرات الإيمان

- فلاح المؤمنين
- الخشوع فى الصلاة
- الإعراض عن اللغو
- إيتاء الزكاة
- طهارة الأعراض
- أداء الأمانة وحفظ العهد
- المحافظة على الصلوات
- ميراث الفردوس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾
وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ
فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ
أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾
فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ
لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ
يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ
ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ .

المؤمنون الآيات من ١– ١١

فلاح المؤمنين

قال الله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ ﴾. المؤمنون الآية ١.

ســورة «المؤمنون» من الســور المكية التى تعالج قضايا العقيدة، وافتتحت الســورة بتأكيد أن الإيمــان هو الفوز والفــلاح المبين، وأن التصديق المقترن بالعمل الصالح هو سبب ميراث الفردوس الأعلى..

وجاء في مســند الإمام أحمد أن عمر بن الخطاب ﷺ قال: كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحى، يسمع عند وجهه كدوى النحل، فلبثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال:

اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وارض عنا، ثم قال: لقد أنزل عليّ عشــر آيات من أقامهن دخل الجنة، ثم قرأ «قد أفلح المؤمنون، حتى ختم العشر» .

هذا والإيمان في المنظور الإسلامى ينتظم أمورا جوهرية هى:

١- الإيمان بالله تعالى وأسمائه الحسنى وصفاته القدسية.

٢- الإيمــان بالملائكة الكرام البررة الذيــن لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

٣- الإيمان بالكتب المنزلة لهداية البشر وليقوم الناس بالقسط

٤- الإيمان بالرسـل والأنبياء الذين اصطفاهم الله من خلقه مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

٥- الإيمـان باليـوم الآخر، يوم الفصـل، يوم يقـوم الناس لرب العالمين، وتجد كل نفس ما قدمت وأخرت..

وإن عـالم اليـوم الذى تصارعـت فيه القوى والمذاهـب، ووصل إلى درجة التشبع المادى الرخيص، أصبح يتلهف على عقيدة تؤازر العقل الراشد، وتهب السعادة للنفس الإنسانية، وتتسامى بعواطف الإنسان وغرائزه إلى آفاق الملأ الأعلى..

ولن تكون تلك العقيدة إلا عقيدة الإسلام الذى ختم الله به الرسالات، فهو الدين القيم، وهو أمل الإنسانية المرتقب فى اليوم وفى الغد بعده إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها..

فالعقيدة الإسـلامية هى الدين الخالص الذى لا يعرف معبودا غير الله الواحد الأحد له وحده العبادة، وبه وحده الاستعانة، وعليه وحده التوكل، وإليه وحده المناجاة والتضرع..

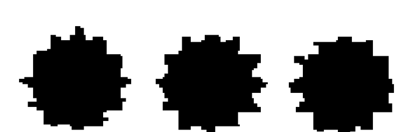
قال تعالى ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥ ﴾ .البينة الآية ٥.

والعقيدة الإسـلامية لا تعرف تشـبيها أو تجسـيما بل كل ما طرأ ببالك فالله بخلاف ذلك.. قال سبحانه ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ ﴾ الشورى الآية ١١.

والعقيدة الإســلامية لا تعرف حلولا أو اتحادا، فالكون والكائنات جميعا مربوبة لله ســبحانه، وواقعة تحت قهره وسلطانه وهيمنته..
قــال جــل شــأنه ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾ الرعد الآية ١٥.

والعقيدة الإســلامية لا تعرف وســاطة أو كهانة، وقد نص القرآن المجيــد على قــوم بدلوا عقيــدة التوحيد كفــروا فقال ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ التوبة الآية ٣١.

هذا هو الإيمــان الصحيح وتلك هي عقيدة النجاة والفوز الأكبر في الأولى والآخرة..



الخشوع فى الصلاة

قال الله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ ﴾المؤمنون الآية ٢.

الوصف الأول للمؤمنين المفلحين هو الخشوع في الصلاة، والارتباط بين الصلاة والإيمان وثيق الصلة فمتى تحقق في القلب جلال الله وكماله وتيقن الإنسان عظمة الله وسلطانه أدى الصلاة بخشوع وَعَقَلَ ما يقرأ واطمأن في أركانها وأتى بآدابها على الوجه الأكمل قال تعالى ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾البقرة الآية ٢٣٨.

وقد أمر رسول الله ﷺ بالذهاب إلى الصلاة في سكينة ووقار ونهى عن الصلاة في حضرة الطعام أو مع مدافعة الأخبثين، ونهى عن رفع البصر إلى السماء والالتفات وغير ذلك، حتى تسكن الجوارح ويخشع القلب ويصفو العقل للمناجاة والتدبر..

ففي صحيح مسلم عن أنس قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم فلما قضى الصلاة أقبل علينا بوجهه فقال: أيها الناس إني أمامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود ولا بالقيام ولا بالانصراف فإني أراكم أمامي ومن خلفي ثم قال: والذي نفس محمد بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا، قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال: رأيت الجنة والنار.

وفي تهديد شديد ووعيد يقول عليه الصلاة والسلام- كما في صحيح مسلم:

«لينتهين أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة أو لا ترجع إليهم».

وفي رواية «أو لتخطفن أبصارهم» .

ويقول عليه الصلاة والسلام- كما في صحيح مسلم-: «أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار» .

وجاءت أحاديث تحدد آداب الوقوف في الصلاة واتمام الصفوف، فقال عليه الصلاة والسلام «إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون وأتوها تمشون وعليكم بالسكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا» .

وفي تعليل لطيف جاء في بعض الروايات «فإن أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة فهو في صلاة».

وقد شبه الرسول الكريم صفوف الصلاة بصفوف الملائكة وأمر بإتمام الصف الأول فالأول، وبتسوية الصفوف وأن يلي الإمام أولو الأحلام والنهى فقال كما في صحيح مسلم: «ألا تَصُفُّون كما تَصُفُّ الملائكة عند ربها، فقالوا: يا رسول الله وكيف تَصُفُّ الملائكة عند ربها قال: يتمون الصفوف الأول ويتراصون في الصف» .

وبهذا يتحقق الخشوع في الصلاة ويكتسب المرء ثوابا جزيلا ويحقق فوزا كبيرا ويكون دائم السعادة في قلبه وفؤاده.

الإعراض عن اللغو

قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ المؤمنون الآية ٣.
قال الإمام ابن كثير:

اللغو هو الباطل، وهو يشمل الشرك كما قاله بعضهم، والمعاصي كما قالــه آخرون، وما لا فائدة فيه مــن الأقوال والأفعال، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾. الفرقان الآية ٧٢

وفي الحق فإن هذا التفسـير يجعــل من الآية- على وجازتها- في قمــة البيان الإعجازي، فقد وصف الله المؤمنين هنا بجانب مهم جدا، ألا وهو جانب التخلية عن الشرك والمعاصي وما لا فائدة فيه..

فالمؤمــن لا يتحقق إيمانــه حتى يكفر بالطاغــوت، ويترك الآلهة المزعومــة، ويدع الأصنام بكافة صورها وألوانها.. وعلى رأســها الآن أصنام المال والجاه والســلطة، فإن بعض الناس يصبحون عبيد الدرهم والدينار، أو عبيد المنصب والجاه، أو عبيد السلطة والسلطان..

والمؤمن الحق يربأ بنفســه عن كل هذه الطواغيت، ويعتز بعزة الله جل شــأنه، فهو ســبحانه له الخلق والأمر، وملكوت كل شيء بيده، كذلك فإن المؤمن لا يصفو إيمانــه حتى يتجنب المعاصي والآثام كلها، فإنها بريد الكفر والعياذ بالله.

والنهى فى الدين أشد من الأمر، بمعنى أنه حيث ورد النهى يجب الانتهاء كلية بلا تجزئة ولا تبعيض، وحيث ورد الأمر فهو مرتبط بوسع الإنسان واستطاعته..

وفى الحديث المتفق عليه: عن أبى هريرة، عبد الرحمن بن صخر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم» .

ومن جهة ثالثة فإن المؤمن لا يكمل إيمانه حتى يدع مالا يعنيه من فضول القول والفعل والتفكير.. فالمسلم يهتم بأمر معاشه ومعاده، ويترك ما وراء ذلك حتى يسلم من التبعات، فعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» رواه الترمذى وقال حديث حسن.

والمسلم له ورع يحجزه عن الشبهات، ويباعد بينه وبينها، وقد حفظ الحسن بن على، سبط رسول الله ﷺ وريحانته- وصية من جده قال «دع ما يريبك إلى ما يريبك» .

وفى وصية نبوية أخرى:

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت».

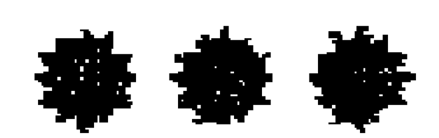
والإطار العام لهذه الصفة الجليلة من صفات المؤمنين «والذين هم عن اللغو معرضون» هو أن يواصل الإنسان ارتباطه بالله تعالى ويتعلق قلبه وقالبه بذكره سبحانه.. فإن المشغول لا يشغل.

وقد أتى أعرابى إلى النبى ﷺ فقال:

يا رســول الله إن شرائع الإســلام قد كثرت عَلَيّ، فباب نتمسك به جامع.

قال: «لايزال لسانك رطبا بذكر الله» رواه أحمد.

وهكذا يعيش المؤمن بعيدا عن اللغو حريصا على ما ينفعه.



إيتاء الزكاة

قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَاعِلُونَ ﴾ المؤمنون الآية ٤.
الزكاة أحد أركان الإسلام، وهي تطهير للمال وتزكية للخلق وتكافل اجتماعي قال الله جل شأنه ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣) ﴾ التوبة الآية ١٠٣.

وتكون الزكاة في الأموال والزروع والثمار وعروض التجارة والسائمة من الأنعام، وتحدث القرآن المجيد حديثا مطولا عن الزكاة فقرنها بالصلاة في أكثر من موضع قال الله سبحانه ﴿ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ (٧٨) ﴾ الحج الآية ٧٨.

وحذر القرآن من اكتناز المال ومنع الحق فيه فقال ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥) ﴾ التوبة الآية ٣٥.

وأمر القرآن بإخراج حصة الفقير من الزروع يوم الحصاد فقال ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا

أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾الأنعام الآية ١٤١.

والزكاة وهي نسبة مقدرة في المال ليست هي كل ما يجب إخراجه من المال بل إن في المال حقا سوى الزكاة، وعندما تحدث القرآن عن البر ومفهومه العام الشامل جعل من خصائص الأبرار إنفاق المال على ذوي الحاجات ومنافع المسلمين بلا تحديد نسب معينة بالإضافة إلى إيتاء الزكاة التي هي مقدره شرعا بنسب خاصة.. قال الله تعالى.. ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾البقرة الآية ١٧٧.

فالمال مال الله استخلفنا فيه وليس للإنسان من ماله إلا ما تصدق به أما ما عدا ذلك فمآكل تفنى وملابس تبلى ومظاهر خادعة، والمال نعمة يوم يسخر لخدمة المجتمع ويراعى فيه حق الضعفاء والمحتاجين وذوى القربى والأرحام وإلا انقلب إلى نقمة وأصبح وبالا على صاحبه في الدنيا والآخرة، وفي الصحيحين أن أبا ذر ﷺ قال: انتهيت إلى

النبي ﷺ وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال هم الأخسرون ورب الكعبة فجئت فجلست فلم أتقار أن قمت فقلت يا رسول الله فداك أبي وأمي من هم قال هم الأكثرون أموالا إلا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن بين يديه ومن خلفه وقليلٌ ماهم.



طهارة الأعراض

قال الله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ ﴾ المؤمنون الآيات من ٥ : ٧.

الإسلام حريص على العفاف الشريف وأن يلتقى الرجل بالمرأة باسم الله وعلى منهج الله مودة ورحمة ولذا كان الزواج آية من آيات الله، قال جل شأنه ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢١ ﴾ الروم الآية ٢١.

وقد أمر الإسلام بتيسير الزواج فأخفهن مهرا أكثرهن بركة وحث ولى الأمر العام والخاص على المشاركة فى تكاليف الزواج للراغبين فقال جل شأنه ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٣٢ ﴾ النور الآية ٣٢.

وذات يوم قدم رجل إلى رسول الله ﷺ يطلب المساعدة فى صداق زوجته فسأله المصطفى الكريم: على كم تزوجتها؟ قال الرجل على أربع أواق فتعجب الرسول ﷺ وقال كأنما تنحتون الفضة من عرض هذا الجبل.

أي إنكم لا تقطعون الأموال من الجبال فلا تغالوا في المهور..

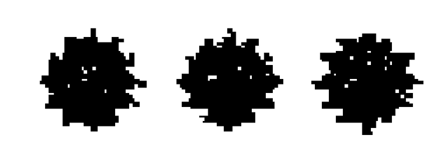
والمسلم أو المسلمة على أية حال هو عفيف طاهر العرض لا يرسل النظرة الآثمة ولا يقف موقف الريبة ولا يخلو بأجنبية، ولا يشارك في مجلس تنتهك فيه حرمات الله..

قال الله تعالى ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ النور الآية ٣٠، ٣١.

وقوله تعالى «إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا» مفسر عند جمهور العلماء بالوجه والكفين بالصورة الطبيعية من غير افتعال في لفت الأنظار إليهما، والخمار غطاء الرأس والجيب فتحة الثوب على الصدر وقد أمرت المرأة المسلمة أن تغطي صدرها بغطاء رأسها فلا يبدو عنقها ولا شعرها ولا آذانها..

والحياء هو شعار المسلم والمسلمة، وهو خير كله ولا يأتي إلا بخير وهو شعبة من شعب الإيمان، وقد قال رسول الله ﷺ «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت» فالمسلمون رجالا ونساء يحفظون فروجهم ويتسامون بغرائزهم فلا يمارسونها إلا في ظلال الشرع الحنيف وفي ضوابط الدين القيم والفطرة السوية، وأية

محاولة لإشــباع الغريزة فى غير إطارها الشرعى تجعل الإنسـان يهوى إلى حضيض الحيوانية ويلتقى مع العجماوات بل يكون أضل منها..



أداء الأمانة وحفظ العهد

قال الله تعالى﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٨.

الأمانة هي كل ما استودعك الله وأمرك بحفظه أو ائتمنك عليه الناس، والعهد هو كل ما أخذ عليه التأكيد بحفظه من حقوق الله وحقوق الناس.

فالعهد والأمانة مرتبطان، فمن لا عهد له لا أمانة له، ومن لا أمانة له لا عهد له..

والوفاء لله هو مقدمة الوفاء للبشر، والالتزام بعهد الله هو مقدمة الالتزام بعهود البشر، والحفاظ على قدسية الله هو مقدمة الحفاظ على كرامة البشر..

ولن تكون هناك قيم وأخلاق إلا من خلال الإيمان بالله والاستقامة على دينه.. وقد أمر الله تعالى بالوفاء بالعهود والحفاظ على الأمانات؛ فقال سبحانه في سورة المائدة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ الآية ١.

وقال جل شأنه في سورة النساء ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ الآية ٥٨.

وخلف الوعد ونقض العهد وخيانة الأمانة من خصال المنافقين. قال عليه الصلاة والسلام «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر».

ومن المثل الرائدة والنادرة فى تاريخ البشر- ما جاء فى صحيح مسلم عن حذيفة ﷺ قال:

ما منعنى أن أشهد بدرا إلا أنى خرجت أنا وأبى- حُسَيْل- [1] فأخذنا كفار قريش فقالوا: إنكم تريدون محمدا، فقلنا ما نريده، ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة ولا نقاتل معه.

فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر فقال: «انصرفا، نفى لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم».

لقد كان سيدنا محمد ﷺ الصادق الأمين فى الجاهلية وكان خلقه القرآن فى الإسلام، وقد ظل يقين الصدق بمحمد ﷺ فى سويداء قلب المجتمع المكى لم يتزلزل حتى مع كفرهم بالرسالة التى دعا إليها رسول الله..

وتدور الأيام ويخرج الرسول مهاجرا إلى المدينة، ويستخلف عليا فى فراشه ليوارى عنه أعين المشركين المؤتمرين به، وليرد عنه الودائع

---

(١) حُسيل والد حذيفة بن اليمان أما اليمان فهو لقب له.

التي ائتمنه أهل مكة عليها، فلم يكن بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا استودعه عند الصادق الأمين سيدنا محمد ﷺ..

أليس هذا هو الخلق العظيم؟!

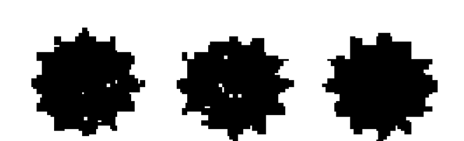
إن صاحب هذا الخلــق العظيم هو القائل: «أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك» .

وفي حديث رواه الإمام أحمد بسند جيد عن ابن مسعود قال:

يؤتـــى يوم القيامـــة بصاحب الأمانة التي خان فيهـــا، فيقال له: أد أمانتك، فيقول: أني يا رب وقد ذهبت الدنيا، قال: فتجعل له كهيئتها يـــوم أخذها- في قعر جهنم، ثم يقال له: انزل إليها فأخرجها، قال: فينـــزل إليها فيحملها على عاتقه، فهي عليـــه أثقل من جبال الدنيا، حتى إذا ظن أنه ناج هوت وهوى في أثرها أبد الآبدين..

قال: الصلاة أمانة، والوضوء أمانة، والغســـل أمانة، والوزن أمانة، والكيل أمانة.. وأعظم ذلك الودائع» .

نسأل الله أن يتداركنا بلطفه، ويعاملنا بإحسانه، ويقيمنا على طاعته وأداء أمانة الدين والدنيا..



المحافظة على الصلوات

قال الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ المؤمنون الآية ٩.
الصلاة فريضة محكمة، وركن من أركان الإسلام يتكرر يوميا خمس مرات، فهى خمس فى الفعل وخمسون فى الأجر والثواب، افترضها الله تعالى على أمة محمد ﷺ ليلة الإسراء والمعراج فى مناجاة علوية قدسية..

وقد جعلها الله جل شأنه فى مواقيت خاصة بدءا ونهاية فقال ﴿ إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ النساء الآية ١٠٣، ولا تسقط عن المكلف بحال من الأحوال مادام عاقلا، فهى تؤدى مع الصحة والمرض، وتؤدى فى الإقامة والسفر، وتؤدى فى الحرب والسلم ولكن بكيفيات مختلفة تيسيرا من الله ورحمة بعباده..

فهناك الصلاة من قيام أو جلوس أو اضطجاع، وهناك الصلاة إتماماً وقصرا، وهناك الصلاة جمعا تقديما كان أو تأخيرا.. ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ الحج الآية ٧٨.

وتوزيع الصلاة على اليوم والليلة له حكم جليلة، فالمسلم يستفتح يومه بالذى هو خير فيؤدى صلاة الفجر شكرا لله الذى أحياه بعد أن أماته فالنوم يشبه الموت..

ثم يمارس المسلم نشاطه يبتغى فضل الله فى مناكب الأرض طاهرا منشرح الصدر مراقبا لحدود الله.

وخلال انهماكه فى مطالب الحياة اليومية يسمع صوت المؤذن لصلاة الظهر فيهرع لإجابة النداء ويقف أمام الخالق الأعظم يتزود بخير الزاد ويمتلئ طهرا ونقاء..

ثــم يعاود إتمام أعماله وواجبات وظائفه فى هذه الحياة وقد يصادفه ما يشــغله عن التفكير فى آلاء الله أو قد يعتريه خطأ أو يقع فى خطيئة فيفاجأ بصوت الحق مناديا لصلاة العصر فيجدد العهد مع الله وفاء لهذا الدين القيم..

ثم يخرج من صلاته ليواصل رحلته اليومية وقد يعتريه من عناء العمل أو مغريات الحياة ما يشــده بعيدا عن آفاق الإيمان العليا، فيجد أن أذان المغرب قد حان فيلجأ إلى الله فى ضراعة وخشوع مؤديا صلاة المغرب.

ثــم فى نهايــة يومه يختمه كما بدأه يشــكر الله على نعمه التى لا تعــد ولا تحصى فيصلى صلاة العشــاء ويأوى إلى فراشــه قائلا: اللهم إن أمسكت نفســى فاغفرلها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين» .

وفى تصوير أثر الصلاة فى حياة المســلم يقول عليه الصلاة والسلام- كمــا فى صحيح البخارى: أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتســل منه كل يوم خمس مرات، فهل يبقى من درنه شىء؟

قالوا: لا يُبقى من درنه شيئا، قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا.

ميراث الفردوس

قال الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ ﴾ المؤمنون الآيات ١٠، ١١.

تأتى هاتان الآيتان تتويجا لصفات المؤمنين، وجزاء لصالح أعمالهم ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠ ﴾ الرحمن الآية ٦٠.

فالمؤمن بالتزامه الكامل بأمر الله ونهيه، واستقامته على الصراط المستقيم يمتن الله عليه بالحسنى وزيادة ويورثه الفردوس الأعلى..

ومن المعلوم أن دخوله الجنة بفضل الله ورحمته، لأن نعم الله على الإنسان فى هذه الدنيا خلقا وإمدادا وعطاء- لا تعد ولا تحصى، ومهما شكر الإنسان ربه فلن يفى بشىء يذكر، بل إن التوفيق للشكر نعمة أخرى جليلة، فشكرنا يحتاج إلى شكر آخر..

ولله در القائل:

يارب لك الحمد على كل نعمة

ومن أفضل النعماء قولى لك الحمد

وعلى هذا فالجنة منة إلهية، وتفضل، وعطاء ربانى خالص، ومن هنا نفهم قول رسول الله ﷺ:

«لن يدخل أحد الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل». رواه مسلم.

ومن كرم الله على عباده أنه سبحانه يضاعف الحسنة أضعافا كثيرة ولا يضاعف السيئة.. قال تعالى ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ الأنعام الآية ١٦٠.

ومن خلال هذا الفضل والعطاء المتواصل كانت وصية رسول الله ﷺ:

«إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة، ومنه تفجر أنهار الجنة، وفوقه عرش الرحمن» متفق عليه.

والجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، قد تتشابه الأسماء ولكن الحقائق فوق الوصف قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ البقرة الآية ٢٥.

وقال جل شأنه ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ

ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾ الإنسان الآيات من ١٢ : ٢٢.

وهــذا النعيــم الذى لا ينفــد يصاحبه نعيم روحـــى لا تعبر عنه كلماتنا وتقصر عن الوفاء بوصفه.. أشــار إليه القرآن المجيد فى أكثر من موضع، فقــال ﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ التوبة الآية ٧٢، وقال ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾ مريم الآية ٩٦.

فالرضوان والود إشــارة لطيفة إلى معــان روحية غير معهودة فى دنيا البشــر، والإنســان فى النعيم المنقطع مؤرق تعتريه الهموم لكن نعيم الجنة لا ينقطــع ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ الرعد الآية ٣٥ وأهل الجنة خالدون أبدا ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ ﴾ الدخان الآيات ٥٦، ٥٧.

***

دلائل الإيمان

- خلق الإنسان
- المصير الإنسانى
- إبداع السموات
- ماء المطر
- رزق الله
- الشجرة المباركة
- عبرة الأنعام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ المؤمنون الآيات من ١٢ – ٢٢.

خلق الإنسان

قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ المؤمنون الآيات من ١٢ – ١٤.

نحـــن أمام نص كريـــم يفتح آفاقا عليا فى البحث العلمى، ســبق به القرآن المجيد منذ أكثر من أربعة عشر قرنا..

لقد ســاق القرآن أطوار الجنين فى رحـــم الأم ابتداء من النطفة وهى الماء الدافــق الذى يخرج من صلب الرجل وترائب المرأة، فيعلق بالرحم ذلــك القرار المكين المحفوظ برعاية الله وعنايته، ثم تتحول العلقة التى هـــى قطعة دم صغيرة إلى مضغة أى قطعة لحم قدر ما يمضغه الإنســان فى فمه، ثم تتحول هذه المضغة إلى الهيكل العظمى للإنســان ثم تكسى هذه العظام شيئا فشيئا باللحم، وبذلك تتم النشأة المادية للإنسان إلى أن يأذن الله بنفخ الروح فيه فيصير بشــرا ســويا، ويمكث مدة الحمل التى حددهــا الله عز وجل ليخرج بعد ذلك بقــدرة العلى الأعلى طفلا صغيرا يبدأ عهده بهذه الأرض..

ولا نملك إلا أن نقــول «فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ» أى تنزه وتقدس الله الذى أبدع صنع الإنسان وأحسن خلقه وتصويره..

والتعبير القرآني بخلق الإنســان من سلالة من طين يحتمل أمرين: الأول خلــق آدم من خلاصة الأرض ومروره في أطــوار الخلقة الخاصة بــه من تراب وطين وطين لازب وحمأ مســنون وصلصال كالفخار.. وفي حديث رواه أحمد والترمذى وأبو داود «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها مــن جميع الأرض، فجاء بنو آدم علــى قدر الأرض، جاء فيهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك. والخبيث والطيب وبين ذلك» .

الاحتمــال الثاني: أن المراد بخلق الإنســان مــن طين هو نحن - أنا وأنت وســائر البشــر - فحياتنا موقوفة على الغــذاء وهو نوعان نباتي قادم مــن الأرض وحيواني قائم علي ما يخرج مــن الأرض فيكون غذاء الإنسان كله من الأرض مباشرة أو بطريق غير مباشرة، فيصح أن يقال: خلقنا الله من تراب..

إن هــذا الأصل الذى نلتقي عليه جميعا وهذه الرحم التي تجمعنا لو عَقَلَ الناس الحكمة من ذلك لخففوامن غلواء كبريائهم وعاشــوا عباد الله إخوانا.. قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ الحجرات الآية ١٣.

المصير الإنسانى

قال الله تعالى ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ الآيات ١٥ ، ١٦.

خلق الله الإنسان ليعمر الأرض وينتفع بخيراتها ويعيش عليها بمنهج الله الذى جاءت به الرسل، والذى يؤكد أمرين هما: تعظيم أمر الله والشفقة على خلق الله.. قال الله تعالى.. ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ البقرة الآية ٨٣.

ولم يخلق الإنسان ليخلد فى هذه الدنيا، بل إن الموت يلاحقه فى كل لحظة.. ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ الأعراف الآية ٣٤.

ولم يخلق الإنسان ليترك سدى وتنتهى قصة حياته عند حافة القبر، بل هناك موعد لا يخلف للحساب والجزاء.. قال تعالى ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ المؤمنون الآية ١١٥.

والبعث هو إخراج الناس من قبورهم وإحياؤهم بعد موتهم ليتحقق فيهم العدل الإلهى، وأن قدرة الله التى أبدعت الإنسان هى التى تعيده

يــوم القيامة، بل الإعادة أهون فى نظر العقل ومنطق الفطرة، والله تعالى لا يعجزه شــيء في الأرض ولا في الســماء، ولا يشغله حال عن حال، ولا يعزب عنه مثقال ذرة..

والإيمان بالموت بعد الحياة وبالبعث بعد الممات هو من صميم العقيدة وجزء الإيمان على مدى الرسالات الإلهية كلها، ووقف كل نبى يواجه قومه بهذه الحقيقة.. قالهـا نوح ﴿ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ٣ ﴾ هـود الآية ٣، وقالها هـود ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٣٥ ﴾ الشـعراء الآيـة ١٣٥، وقالها شـعيب ﴿ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ٨٤ ﴾ هود الآية ٨٤، وقالها موسـى ﴿ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ٢٧ ﴾ غافر الآية ٢٧، وقالهـا مؤمن آل فرعون ﴿ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ٣٢ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖ ﴾ غافر الآيات ٣٢، ٣٣.

وقـد يتوهم البعـض أن عقيدة البعث ترهب الناس وتسـلبهم الأمن وتقعـد بهـم عن العمل والسـعى، وهـذه خطيئة فكرية، فـإن الناس حين يعقلون حقيقة البعث والحسـاب والجزاء يسارعون إلى الخيرات ويأمـرون بالمعـروف وينهون عن المنكـر ويتعاونون علـى بناء الحياة الكريمة الطاهرة، ويعيشون سعداء بالأمن والإيمان مدركين للمسئولية الإنسـانية ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨ ﴾ الزلزلة الآية ٧، ٨.

إبداع السموات

قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ المؤمنون الآية ١٧.

تقدم هذه الآية القرآنية آية كونية لها دلالتها القوية القاهرة على قدرة الله وعظيم سلطانه، لقد خلق الله سبع سموات، وصفت في القرآن بأوصاف عدة، فهي طباق: قال تعالى ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴾ الملك الآية ٣، وهي شداد، قال تعالى ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ ﴾ النبأ الآية ١٢، وهي رقيقة القدر سميكة البناء، قال تعالى ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَآءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ ﴾ النازعات الآيات ٢٧، ٢٨، وهي بلا عمد مرئية، قال تعالى ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ الرعد الآية ٢.

والسماء في اللغة هي كل ما علاك، لكن في الاصطلاح الشرعي بناء فخم ضخم واسع محكم، لم يصل العلم إلى حقيقته حتى الآن، والذين يفسرون السموات بالمجموعة الشمسية واهمون، فإن هذه المجموعة وغيرها من المجموعات الفلكية العديدة تحدث عنها القرآن بأنها

زينة السماء فقال: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ ﴾ الفرقان الآية ٦١، وقال ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ ﴾ الصافات الآية ٦، وقال ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴾ الملك الآية ٥.

فهذه النجوم والكواكب هى تحت السماء الدنيا وليست إحدى السموات أو مجموع السموات، وفوق كل ذى علم عليم.

والسماء مسكن الملائكة وهى طرائق ومسالك شتى.. قال تعالى ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ ﴾ الشورى الآية ٥، وفى الحديث الشريف « أطّت السماء وحق لها أن تئط: ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك قائم أو راكع أو ساجد» وهذا البناء الفخم الضخم محكوم بإرادة الله، مقهور بقدرته سبحانه، واقع تحت قبضته جل شأنه فالله خلق ودبر، وخلق وهدى، وخلق وسوى، ﴿ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ المؤمنون الآية ١٧.

فالله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء، والله تعالى هو القيوم القائم على كل شىء بما يحفظ وجوده، ويمنحه نواميسه، ويمده بوسائل التمكين المناسبة، ويرعاه حق الرعاية، ولا يشغله شأن عن شأن.. قال تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۢ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

الأعراف الآية ٥٤.

***

ماء المطر

قال الله تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ (١٨) ﴾ المؤمنون الآية ١٨.

يذكر الله الإنسان بنعمة الماء، وهي نعمة جليلة قامت عليها الحياة في شتى أشكالها وألوانها..

وقدرة الله فائقة في تيسيره لبني الإنسان، فالماء يتبخر من البحار والمحيطات، ويتصاعد في أجواء الفضاء فتحمله السحب ويبسطه الله في السماء كيف يشاء، فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء.

وقد أطلق على السحاب في القرآن لفظ السماء، وهي كل ما علاك، قال تعالى ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا ﴾ «ق» الآية ٩، كما أطلق عليه لفظ المعصرات وهي السحائب المحملة بالماء تعصر فيخرج منها الماء، قال جل شأنه ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) ﴾ النبأ الآية ١٤.

واقتضت حكمة الله أن الماء لا يضيع لوقته ولا يذهب سدى، وإنما سلكته قدرة الله ينابيع في الأرض، وهي العيون والمجاري المائية حتى ينتفع به الناس على مدار حياتهم، كما شاءت إرادة الله أن ينزل الماء بقدر حاجة البشر عامة، لا بزيادة فيحصل الطوفان العام ولا بنقص

فيحصل القحط العام.. فماء المطر يكفي البشر قاطبة لكن قد يزيد في منطقة أو يقل على مقتضى الحكمة الإلهية..

والتعبير القرآني.. ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴾ يفيد عدة معان، فقدرة الله على الذهاب بالماء قد تعني حجب المطر فلا ينزل.. قال الله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾ الشورى الآية ٢٨، ولذلك شرعت صلاة الاستسقاء..

وقد تعني قدرة الله على الذهاب بالماء عدم وصول الماء إلى المحتاجين، فينزل المطر بعيدا عنهم أو تبتلعه الأودية والقفار.. قال تعالى ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾ ﴾ الملك الآية ٣٠، وقد تعني قدرة الله على الذهاب بالماء تحويله إلى ملح أجاج لا يستساغ ولا ينتفع به.. قال تعالى ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ الواقعة الآيات من ٦٨ – ٧٠.

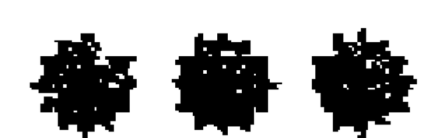
ولقد قيل في الحكم: إن الماء أعز مفقود وأرخص موجود وأول شراب أهل الجنة وأول أماني أهل النار.. فإذا فقد الماء ضاعت الحياة وإذا وجد الماء كان رخيصا يسرف فيه الإنسان، وأول أنهار الجنة نهر الماء العذب السلسبيل قال تعالى ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ

وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾ محمد الآية ١٥؛

ويستغيث أهل النار بأهل الجنة قائلين: ﴿ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ الأعراف الآية ٥٠.

فيرد عليهم أهل الجنة قائلين: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾

الأعراف الآية ٥٠.



رزق الله

قال الله تعالى ﴿ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ المؤمنون الآية ١٩.

يمن الله علينا بآثار رحمته التى تعقب نزول المطر؛ فالله وحده هو الذى ينبت بالماء الزرع، ولا يملك الإنسان من أمر إخراج النبتة ونموها وثمرها شيئا ذا بال..

إن الإنسان يضع البذرة فى الأرض ويهيل عليها التراب، ولا يدرى ما يحدث لها ولا كيف تعمق جذورها وتمتد سيقانا وتمتلئ غصونا وأزهارا؟!

قال الله تعالى ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ عبس الآية ٢٤ – ٣٢.

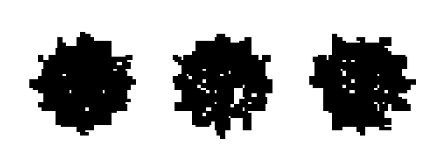
إن الله خلق ورزق، وأحيا ودبر، ومنح وأجزل العطاء، فإنشاء الزروع والثمار، وإخراج النبات كان من أجل الإنسان الذى كرمه الله ومنحه أمانة قيادة الحياة بمنهج الله..

وعـددت الآية الكريمة مظاهـر الإبداع النباتـي، من جنات أي حدائق ذات بهجة تسر الناظرين، وتتعدد الحدائق بتعدد الثمار من نخيل وأعناب وفواكه كثيرة، يتخذها الإنسـان مسرة للنظر وبهجة للصدر وغذاء للبدن ومنافع متعددة في الأخشـاب وما يترتب عليها من صناعات مفيدة..

وقـد اهتم القرآن المجيـد كثيرا بلفت الانظـار إلى هذه النعمة، وجعل إحياء الأرض بالنبات بعد القحط والجدب دليلا على قدرة الله على إحياء الموتى من قبورهم..

قال تعالى ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ ﴾ الحج الآيات ٥، ٦.

وقال جل شـأنه ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٣٩ ﴾ فصلت الآية ٣٩.



الشجرة المباركة

قال الله تعالى ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٢٠.

تخص الآية الكريمة هنا نوعا خاصا من النبات، فتنوه بشأنه وتذكر فضله، إنه الزيتون الذى ينبت فى طور سيناء، فهو مبارك فى نفسه، مبارك فى موطنه..

لقد كرم الله الزيتون فأقسم به فقال ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ ﴾ التين الآية ١، وأقسم بمكانه فقال ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ ﴾ التين الآية ٢، وسماه شجرة مباركة وضرب به مثلا لنوره فقال ﴿ ۞ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ النور الآية ٣٥.

وحظيت سيناء بشرف فى القرآن، وأُطلق عليها البيان القرآنى تعبيرات منها الجبل فقال ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ الأعراف الآية ١٤٣، والوادى المقدس ﴿ إِنَّكَ بِالْوَادِ

ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ طه الآية ١٢، وطور سيناء فقال ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ ﴾ المؤمنــون الآيــة ٢٠، وطور ســينين فقال ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ ﴾ التــين الآيــة ٢،والطور فقــال ﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ ﴾ الطور الآيات ١، ٢.

وشــجرة الزيتون المباركة ينتفع بها فــى الدهان والمأكل، فتتخذ دهنا وإداما،وجاءت أحاديث شريفة بفضلها، فقد أخرج الإمام أحمد فى مسنده أن رسول الله ﷺ قال «كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة» .

وقد أثبت الطب الحديث فوائد كثيرة للزيتون، إذا استخدمه الإنسان مع شــرب العســل وأكله فقد نص القرآن على فوائــده فقال ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۝٦٨ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٦٩ ﴾ النحل الآيات من ٦٨، ٦٩.

وأضاف إليهما الحبة الســوداء التى هى حبة البركة التى امتدحها رســول الله ﷺ فقال «إن هذه الحبة الســوداء شــفاء مــن كل داء إلا من السام» . والسام الموت رواه البخارى

ومتى اســتصبح الإنســان على الجمع بين هذه المبــاركات الثلاث– الزيتون والعســل والحبة الســوداء– امتن الله عليه بالشفاء من كثير من الأمراض، وهى مجربة مؤكدة النفع بإذن الله..

عبرة الأنعام

قال الله تعالى ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ المؤمنون الآيات ٢١، ٢٢.

نقف الآن مع نعمة الأنعام التي هي الإبل والبقر والغنم وسائر الحيوان، وموطن العبرة هو اللبن والمنافع والمآكل وحمل الأثقال..

فاللبن نعمة، وهو غذاء كامل، وقدرة الله في إخراجه عجيبة، قال تعالى ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ النحل الآية ٦٦، فسبحانه الخلاق العظيم، تأكل الأنعام من كلأ الأرض، فيتحول الغذاء الواحد إلى دم ولبن وبول وروث، لا يشوب أحدها الآخر، وييسر الله لِكُلٍّ سبيله الخاص لا يخالط غيره..

ويتخذ الإنسان من الأنعام ريشها ووبرها وصوفها وشعرها وجلدها وأظفارها، ويقيم عليها صناعات مفيدة.. قال تعالى ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا

﴿... يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ (٨٠)﴾ النحل الآية ٨٠.

وينتفع الإنسان بمآكل الأنعام التى أحلها الله بعد تذكيتها، ويركب الإنسان الأنعام زينة، وسفرا وقتالا، وتحمل أثقال الإنسان وتذهب به مسافات بعيدة وأسفارا شتى..

قال تعالى ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٧) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨)﴾ النحل الآيات ٥ : ٨.

إن تذليل الأنعام للإنسان نعمة كبرى فعلى رغم ضخامة الحيوان فإن الطفل الصغير يقوده ويسوسه..

وقد انطلق الإنسان من تيسير الله له ركوب الأنعام إلى ركوب البحار والمحيطات بفضل صناعة السفن، وركوب الفضاء بفضل صناعة الطائرات، وقد نبه القرآن المجيد إلى ذلك وغيره فقال ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨)﴾ النحل الآية ٨.

فكر قوم نوح عليه السلام

- رسالة نوح عليه السلام
- موقف أكابر المجرمين
- اتهام باطل
- دعاء نوح عليه السلام
- سفينة نوح عليه السلام
- أدب النصر
- دروس فى قصة نوح

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ المؤمنون الآيات من ٢٣ - ٣٠.

رسالة نوح عليه السلام

قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٢٣.

تتحدث الآية الكريمة عن بعثة نوح عليه السلام، فقد أرسله الله إلى قومه..

وفـــي التعبير القرآنـــي «إلى قومه» ما يدل على أن نوحا عليه السلام لم يكن صاحب رسالة عالمية لا في الزمان ولا في المكان..

أما أنه ليس عالمي الرســالة زمانا فقد تعاقبت الرسالات بعده وتوالى الرســل حتى ختموا بسيدنا محمد ﷺ صاحب الرسالة العالمية زمانا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها..

وأما أنه ليس عالمي الرســالة مكانا، فإن خطـاب نوح لقومه يدل على خصوصيتهم بهذا النداء وبهذه الرسالة، وقد تكرر ذلك في القرآن كثيرا، قال تعالى في سورة يونس ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ الآية ٧١، وقال ســبحانه في سورة هود ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ الآية ٢٥، وقال جل شــأنه في سورة نوح ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ ﴾ الآية ١، فلم يتحقق عموم الرسالة زمانا

زمانا ومكانا إلا لسيدنا محمد ﷺ ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ الأعراف الآية ١٥٨.

وكانت الدعوة التى وجهها نوح إلى قومه هى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام التى اتخذوها أندادا لله عز وجل، وقد تحدثت سورة نوح عن هذه الآلهة المزعومة فقالت ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾ نوح الآية ٢٣.

وكانت هذه الأصنام فى بدء أمرها تماثيل لرجال صالحين، أقامها الناس تخليدا لذكراهم. فلما تقادم العهد وتطاول الزمن عبدت من دون الله، ويبعث الله سيدنا نوحا يدعو إلى التوحيد الخالص وإفراد الله بالعبادة والتخلى عن هذه المعبودات الزائفة التى لا تملك من أمر نفسها شيئا ولا تملك لهم ضرا ولا نفعا.. فالله وحده هو الخالق المدبر المستحق وحده للعبادة..

وتعجب نوح من ضمور تفكيرهم وسخافة عقولهم وسوء صنيعهم، وتساءل معهم: أفلا تتقون؟ أى: أفلا تخافون ربكم المنعم ذا الجلال والإكرام؟! ألا تجعلون لأنفسكم وقاية من الهوان والصغار والذلة؟! ألا تستقيمون على الجادة وتضعون الأمور فى نصابها وتعرفون جلال الله وكماله؟!.

موقف أكابر المجرمين

قال الله تعالى ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٢٤.

في كل جماعة من البشر أكابر مجرمون يقودون الأمة إلى المهالك، ويرفضون دعوة الحق والإصلاح، ويقيمون على العادة الجاهلية والتقليد البالي، وينتحلون الأكاذيب حول الدعاة ويلفقون التهم للأبرياء..

لقد رفض المستكبرون دعوة شيخ الأنبياء نوح ﷺ بدعوى أن النبوة لا تكون لبشر، والعجب منهم كيف رفضوا النبوة في البشر ورضوا الألوهية للحجر، لقد عكفوا على أصنام لهم اتخذوها آلهة دون الله يعبدونها ويقدمون لها القرابين..

وظن هؤلاء المستكبرون أن نوحا ﷺ أتى برسالته يريد السلطة وينتزع الحكم منهم شهوة، ويقاسمهم المناصب والمغانم كبرياء وغرورا..

ولم يفهموا حقيقة النبوة وأنها اصطفاء الله لمن يشاء من عباده من أجل إصلاح البشر وبناء المجتمع والهداية للحق والانتصار للفضيلة والدعوة إلى الخير..

وزعموا أن النبوة في البشر شيء لم يسبق، ولم يعهد في تاريخ الإنسانية، وقالوا: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٢٤.

وكذبوا على أنفسهم وشوهوا التاريخ وظلموا الحقيقة. فجميع الأنبياء بشر، اصطفاهم الله وصنعهم على عينه وجعلهم الإنسان الكامل..

ولم يعهد أن بعث الله ملكا رسولا، لأن الملك له خصائص تختلف عن خصائص البشر، ولا يقدر الناس على التعامل مع الملك في صورته الملائكية، ولكي يمكن التعامل فلا بد من تشكل الملك بصورة البشر، وهنا يعود التساؤل ويتكرر الاستفهام: هل هو ملك أو بشر..

ولهذا قال الله تعالى في سورة الأنعام ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الآية ٩.

إن بشرية الرسل تأكيد لحسن القدوة وقرب المثل الأعلى، ودعوة إلى الترابط بين الراعي والرعية، والتآخي بين الحاكم والمحكوم على الحق وفي الحق وللحق..

* * *

اتهام باطل

قال الله تعالى ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٢٥.

يواصل الملأ المستكبرون من قوم نوح عليه السلام الاتهامات الباطلة فيصفون نوحا بالجنون ويزعمون أن به مسا من الجن جعله يخلط الأمور ويتبوأ موقف القيادة لقومه ويدعو إلى الزعامة لنفسه..

وتنادوا بينهم أن حتفه قريب، وأن الموت يلاحقه بعد قليل، فمرضه عضال وأجله قد حان، وما عليهم إلا الصبر مدة يسيرة حتى يستريحوا منه..

والعجب أن هذه التهمة بالجنون لأنبياء الله تناقلها المستكبرون في كل أمة من البشر، قالها فرعون لموسى: ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ الشعراء الآية ٢٧.

وقالها مشركو مكة لمحمد ﷺ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ ﴾ الحجر الآية ٦.

وهكذا مع كل نبي: ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ الذاريات الآيات ٥٢، ٥٣.

وكيف يكون نوح عليه السلام مجنونا أو به جنة وهو الذى جادلهم وألزمهم الحجة وساق لهم البرهان وقدم لهم الدليل ووضح لهم الحق، وبين لهم الفضيلة ودعاهم إلى كل خير..

وقد صدر القرآن هذه الدعوة فى أكثر من سورة فقال فى سورة الأعراف ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٦١) أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٢) أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٦٣) ﴾ الآيات ٦١ – ٦٣، وفى سورة نوح تحدثت الآيات عن أساليب الدعوة وألوان الحجة وأنواع الدليل فقال جل شأنه ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩) فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا (١٢) مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤) ﴾ الآيات من ٥ – ١٤، لكن القوم لم يستجيبوا للدليل ورفضوا منطق العقل وانتظروا صاعقة أو عذابا يستأصلهم واعترفوا لنوح بقوة الحجة ﴿ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٣٢) ﴾ هود الآية ٣٢.

دعاء نوح

قال الله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (٢٦) ﴾ المؤمنون الآية ٢٦.

مارس نوح عليه السلام أساليب الدعوة واستنفد كل وسائلها في مواجهة المستكبرين من قومه، وجادلهم وألزمهم الحجة، لكنهم نكسوا على رءوسهم واستهزأوا به قائلين: ائتنا بما تعدنا..

فلم يجد نوح بداً من دعاء يلجأ به إلى الله عز وجل أن ينقذه من مؤامرات قومه ودسائسهم وبهتانهم، وأن يهيىء للمؤمنين فرصة الحياة الآمنة المطمئنة كي يعبدوا الله بلا خوف، ويبنوا الحياة بأمل، ويعيشوا بمنهج الله..

﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (٢٦) ﴾ المؤمنون الآية ٢٦.

وفي آية أخرى: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ (١٠) ﴾ القمر الآية ١٠.

لقد مضت سنة الله أن ينتصر لرسله ويؤيد دعوتهم وينشر الدين الصحيح، لكن بالجهاد والمجاهدة، والصبر والمصابرة، والبأساء والشدة، والابتلاء والتمحيص..

وليست قضية الإيمان مغنما ماديا للمؤمنين، أو شهوة سلطة توفر لأصحابها الأرائك والمآكل والمشارب..

إنها قضية الصدق والصديقين، إنها قضية الجهاد والمجاهدين، إنها قضية البأساء والشهداء.. لكي يميز الله الخبيث من الطيب، وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين، وليعلم الله الذين صدقوا ويعلم الكاذبين..

وقد عبر القرآن عن ذلك بلفظ الزلزلة فقال ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤) ﴾ البقرة الآية ٢١٤.

كما عبر بلفظ الاستيئاس وهو استبطاء النصر فقال ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١١٠) ﴾ يوسف الآية ١١٠، وعبر أيضا بلفظ الفتنة فقال ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) ﴾ العنكبوت الآيات ٢، ٣، إن نوحا عليه السلام وصل إلى هذه المرحلة بعد أن عاش للدعوة ألف سنة إلا خمسين عاما وأيقن أن القوم متأصلون في الإجرام والكفر وأن البيئة فاسدة تطحن كل خير وتئد كل فضيلة وتقاوم كل حق.. ولذلك دعا عليهم فقال نوح ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) ﴾ الآيات ٢٦، ٢٧.

سفينة نوح عليه السلام

قال الله تعالى ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (٢٧) ﴾ المؤمنون الآية ٢٧.

استجاب الله دعاء نوح عليه السلام، وأوحى إليه أن يبدأ الطريق للنجاة من عذاب الاستئصال الذى حق على قومه.. فعلّم الله نوحا صناعة السفن، وباشر نوح هذه الصناعة بعناية الله ورعايته.

وسبق القضاء الإلهى على قوم نوح أن يعمهم الطوفان، فتتفجر الأرض من تحتهم ماء، وتنسكب السماء مطرا، ويلتقى الماءان على هلاك هؤلاء الظالمين..

وجعل الله لنوح علامة لساعة التنفيذ، وهى أن يفور التنور، بمعنى أن الأرض تتفجر عيونا حتى يخرج الماء من مكان النار، فالتنور هو المكان المشتعل الذى يطهى فيه..

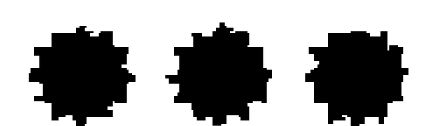
وعندئذ يحمل نوح فى السفينة الكائنات الحية ذكرا وأنثى، ويحمل المؤمنين بدعوته لأن الطوفان لن يبقى ولن يذر، وسيترك الأرض جرداء قاحلة، وسيهلك الحرث والنسل..

وكان هناك تنبيه إلهى لنوح عليه السلام ألاَّ يشفق على الظالمين المستكبرين، وألاَّ تأخــذه رأفة عليهم ســاعة هلاكهم، وأن يغــض الطرف عن زوجه وولده اللذين رفضا دعوة الحق وآثرا الكفر وانضما إلى حزب الشيطان..

ونلحظ فى هذه الآية الكريمة أن صناعة السفن بدأت بنوح عليه السلام كما بدأت صناعــة الدروع بداود عليه السلام في قولــه تعالى ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ (٨٠)﴾ الأنبياء الآية ٨٠.

وهــذا يؤكد أن الصناعات بدأت بوحـــى إلهى ثم تواصل فيها الجهد الإنسانى وتطورت ومازالت فى تطور..

ونلحظ أيضا أن النسب إلى الأنبياء ليس بذى جدوى فى غيبة الإيمان وصدق اليقين ووفاء العهد، وهذا ما أكده الرســول ﷺ فى قوله «من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» .



أدب النصر

قال الله تعالى ﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ (٢٨) وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ (٢٩) ﴾ المؤمنون الآية ٢٨ – ٢٩.

علم الله نوحا عليه السلام آداب ركوب السفينة، وآداب استقبال النصر، وآداب الشكر على النعمة..

وقد امتثل نوح عليه السلام لهذا التعليم فقال لمن آمن معه- كما في سورة هود: ﴿ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (٤١) ﴾ هود الآية ٤١.

ولما بدأت السفينة تمخر عباب الماء، وتسير فوق الطوفان، وتسلك سبيل النجاة فوق القمم العوالى قال نوح: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ (٢٨) ﴾. لكن إذا كانت البداية باسم الله، وكانت المسيرة قائمة على الحمد لله فإلى أين المصير؟!.

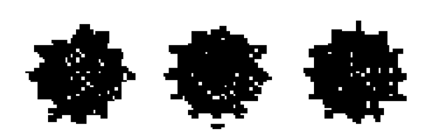
من هنا قال نوح: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ (٢٩) ﴾.

إن المستقبل فى رحم الغيب، ولم تكن هناك خطة بشرية لكيفية استئناف الحياة بعد الطوفان، ولهذا علَّم الوحى الإلهى نوحا عليه السلام أن

يلجأ إلى الله وحده كى تعمر الحياة ويستقر المؤمنون ويمارسوا دورهم فى البناء والحضارة.

وقد استجاب الله هذا الدعاء فقال كما فى سورة هود ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ الآية ٤٨.

لقد حل السلام وعمت البركة على المؤمنين، وبدأوا مسيرة الحياة الطاهرة، لكن جرت السنة التى فطر الله الناس عليها أن تحصل تحولات فكرية وتغيرات عقدية ويتطاول العهد على الناس فينحرف البعض ويجادل فى الله بغير علم ولا سلطان مبين.. وستظل سنة المدافعة قائمة بين المؤمنين والكافرين، أمم تعلو وأمم تسفل، ومجتمعات تنهض ومجتمعات تتخلف، وفكر ينتشر وفكر يندثر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها قال تعالى ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ البقرة ٢٥١. وتكون العاقبة دائما هى النصر للمؤمنين الصادقين.. قال تعالى ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الروم ٤٧.



دروس فى قصة نوح

قال الله تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ۝٣٠ ﴾ المؤمنون الآية ٣٠.

الآيات هنا بمعنى الدلائل الواضحات، والحكم البالغات التى ينتفع بها العقلاء وتتوارثها الأجيال عبرة على مدى التاريخ..

ومن خلال القصص القرآنى لنوح عليه السلام ودعوته تنجلى الحقائق التالية:

أولا: إن دعوة نوح قامت على التوحيد الخالص لله عز وجل، شأنه فى ذلك شأن جميع الرسل..

وتلك قضية فطرية تتأصل فى العقل والقلب، فالكون والكائنات أثر من آثار قدرة الله وعلمه وحكمته، ومن المنطق أن يعبد الخالق وأن يقدس العالم الحكيم، وأن يخلص الإنسان قلبه وقالبه لذى الجلال والإكرام.
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٢٣ ﴾ المؤمنون الآية ٢٣.

ثانيا: إن كبراء الفساد فى كل مجتمع يرفضون دعوة الحق ويأبون التخلى عن مفاسدهم ويتعقبون المصلحين بالتهم الباطلة ودعاوى الزور والبهتان.

﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ المؤمنون الآيات ٢٤، ٢٥.

ثالثا: إن المصلحين دعاة الحق يصبرون ويصابرون ويتحملون البأساء والشدة ويواصلون الليل بالنهار لا يسأمون من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، لقد مكث نوح عليه السلام في قومه داعيا ألف سنة إلا خمسين عاما..

رابعا: إن الولاء لله والصدق في الدعوة إلى الله يجعل المصلحين محل العناية الإلهية والتأييد الإلهى..

«قال رب انصرنى بما كذبون» .

خامسا: إن نصر الله للمؤمنين وعد إلهى لا يتخلف، وله ميقات إلهى لا يخضع لمقاييس البشر الذين يتعجلون الأمور ويستبطئون النهاية ولهذا جاء في سورة هود الآيات ٣٢، ٣٣ ﴿ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

سادسا: إن التمكين للمؤمنين فى الأرض يعنى بركة الحياة، تلك البركة التي هى سر السعادة التى يحظى بها المتقون الأخيار، فيعيشون بلا عقد ويحيون بلا قلق، ويبنون الحياة بلا بغى ولا حسد..

قال تعالى في سورة هود الآية ٤٨: ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾.

فكر قوم هود عليه السلام

- رسالة قوم هود عليه السلام
- موقف الملأ المستكبرين
- شبهة المنكرين للبعث
- خلاصة موقف الملأ
- نصر الله
- تواصل الأجيال البشرية
- تتابع الرسل

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ (٣١) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣٢) وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣) وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ (٣٤) أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ (٣٥) ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (٣٦) إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٧) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ (٣٨) قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ (٣٩) قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ (٤٠) فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٤١) ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ (٤٢) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ (٤٣) ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ (٤٤) ﴾

المؤمنون الآيات من ٣١ – ٤٤.

رسالة قوم هود عليه السلام

قال الله تعالى ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ المؤمنون الآيات ٣١، ٣٢.

هذه هي القصة الثانية في سورة المؤمنون- بعد قصة نوح عليه السلام ..

والقرن هو الأمة من الناس، وليس مرادا به ما تعارفنا عليه وهو الفترة الزمنية التي هي مائة سنة..

وهذه الأمة هي قوم هود عليه السلام في رأى أكثر أهل العلم، لقوله تعالى على لسان هود في سورة الأعراف ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ الآية ٦٩، ولمجيء قصة هود عقيب قصة نوح في سورة الأعراف وفي سورة هود وفي سورة الشعراء..

وقد بعث الله تعالى نبيه هودا عليه السلام إلى قبيلة عاد بالأحقاف في منطقة حضرموت، وكانوا يعبدون الأصنام، ويتخذون آلهة يصنعونها بأيديهم، ولم يشكروا نعمة الله التي أسبغها عليهم في قوة عسكرية، ورخاء اقتصادي، وحضارة عمرانية، قال تعالى في سورة الشعراء على لسان هود عليه السلام ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟

ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٣٥﴾ ﴾ الآيات من ١٢٨ – ١٣٥.

لقد جاءهم نبى الله هود من أنفسهم، يعرفون نسبه وصدقه وأمانته، فأرشدهم إلى عقيدة التوحيد الخالص لله عز وجل، ووجهم إلى حسن استخدام القوة، وحذرهم مغبة الانحراف العقدى والسلوكى، وذكرهم بقوة الله وبأسه الذى لا يرد عن القوم المجرمين..

إن الناس فى غيبة الوحى الإلهى تحكمهم شريعة الغاب، فيتربص بعضهم ببعض، وتستعر فيهم الشهوة، ويفسدون فى الأرض..

ولا عاصم لهم إلا دين الله وشرعه الذى بعث به الرسل وجاهد عليه الأنبياء، وتحمله المصلحون من بعدهم فى كل زمان ومكان، نورا وأمنا ورخاء..



موقف الملأ المستكبرين

قال الله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣) وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ (٣٤) ﴾ المؤمنون الآيات ٣٣، ٣٤.

تواصل سورة المؤمنون عرض قصة هود عليه السلام، لقد وقف زعماء الفتنة الذين كفروا بالله وأنكروا البعث والنشور، وانغمسوا في الشهوة الآثمة، وطغت على عقولهم المادة الوضيعة– وقف هؤلاء يرفضون دعوة الإصلاح، ويتمسكون بالعادات والتقاليد البالية، ويرهبون ضعفاء الأمة، ويقدمون لهم حججا واهية..

إنهم يقولون لرعاياهم: «ما هذا إلا بشر مثلكم، يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون» لقد رفضوا نبوة هود لأنه بشر..

والعجب منهم أنهم قبلوا الألوهية للحجر، فاتخذوا الأصنام والأوثان آلهة تعبد، وقدموا لها القرابين، وضحوا بكرامة الإنسان أمام الحجارة الصماء..

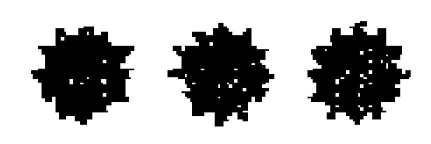
أى منطق هذا؟!

هل يريدون نبيا ملكا؟! فكيف- إذا- يلتقى حوله الناس. ويستشعرون قربه وأنسه، ويتخذون منه القدوة والمثل الأعلى؟.

إن هودا عليه السلام لم يكن بدعا من الأمر، فما بعث الله نبيا إلا من البشر، قال تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ۝٨ ﴾ الأنبياء الآيات ٧، ٨.

وإن رفض نبوة هود لبشريته دعوى كاذبة وحجة داحضة قيلت من قبل ومن بعد، قيلت لنوح عليه السلام: ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾ المؤمنون الآية ٢٤.

وقيلت لخاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ: ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ الفرقان الآية ٧، وإن الذين ردوها لم يكونوا من العقلاء ولا الحكماء، وإنما ردها السفهاء المستكبرون، الذين يريدون استمرار هيمنتهم على الأمة، وبقاء استعبادهم للبشر، فهم ملأ من القوم أى جماعة متسلطة عليهم تزين لهم القبيح وتقودهم إلى الهاوية..



شبهة المنكرين للبعث

قال الله تعالى ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ۝٣٥ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ۝٣٦ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۝٣٧ ﴾ المؤمنون الآيات من ٣٥ - ٣٧.

تعرض الآيات موقف الملأ المستكبرين من قوم هود ﷺ، لقد أنكروا البعث، واستبعدوا الجزاء والحساب بعد أن يكونوا ترابا وعظاما نخرة..

فلفظ «هيهات» يقال للبعيد المنال، العسير الحصول، ويقرأ بالفتح والكسر، منونا وغير منون.. ثم زادوا في الكفر، وأكدوا استحالة البعث فقصروا حياة الإنسان على الوجود والعدم، وجعلوا قصة البشرية تنتهي عند حافة القبر..

فقولهم ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ يعني ما هي إلا بطون تدفع وأرض تبلع، يموت البعض ويعيش البعض، هكذا بلا مسئولية ولا حساب ولا جزاء..

والواو في قوله ﴿ نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ ليست للترتيب، وإلا كانوا مقرين بالبعث بعد الموت، فلا يعني قولهم ﴿ نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ أنهم

يحيـون بعد الموت، وإنما مقصودهم يموت البعـض ويحيا البعض، أو يحصـل لهم موت وحياة ويجتمع عليهـم الصفتان دون أن يريدوا حياة بعد الموت.

ويلاحـظ أن صدر قصة هود في هذه السـورة الكريمة كان خطابا من الملأ المسـتكبرين للمستضعفين من قومهم كقولهم ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾، وقولهم ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ ﴾، ثم كان ختام القصة حديثا عن الملأ أنفسـهم فقالوا ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ وقالوا ﴿ وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾.

ولهـذا التنوع في الأسـلوب حكمة، ذلـك أنهم حاولـوا في البدء استمالة المسـتضعفين، وخداعهم ثم منحوا أنفسهم حق الحديث عنهم وتقرير عقيدة المجتمع فقالـوا ﴿ وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ وهذا شأن الجبارين في الأرض، ولقد قالها فرعون من بعد ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ ﴾ سورة غافر الآية ٢٩.

وقضيـة البعث واضحة الدالالة، ظاهرة البرهان، سـاطعة الحجة، فالذى خلق قادر على أن يعيد، بل الإعادة أهون في نظر العقل، والذى أبـدع الكواكب العظـام والجبال الشـامخات وأودع في الكون أسـرارا وآيات- أقدر على أن يعيد ذلك الكائن الضعيف وأن يبعث الإنسـان من قبره ليحاسـبه على ما قدمت يداه..

خلاصة موقف الملأ

قال الله تعالى ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ (٣٨) ﴾ المؤمنون الآية ٣٨.

لقد رفض الملأ المستكبرون من قوم هود أن يؤمنوا بالرسالة لبشر منهم، وطعنوا في عقيدة البعث، وذهبوا إلى استحالة عودة البدن الإنساني بعد أن يصير ترابا وعظاما، وأخيرا قذفوا نبيهم هودا عليه السلام بالكذب على الله..

وهذا موطن التناقض، وموضع العجب.. هل هم حقا يؤمنون بالله؟!

لو كانوا مؤمنين بالله وقدرته وجلاله وكماله ما عبدوا أصناما واتخذوها آلهة..

هل هم حقا حريصون على تحرى الصدق والتزام الأمانة في القول والعمل؟!

لو كانوا كذلك ما استبعدوا البعث وأنكروا الحساب والجزاء، فإن هذا الانكار هو الكذب بعينه، والبهتان بذاته والضلال بأجمعه..

هل هم حقا يأنفون أن يخضع قومهم لنبى من البشر؟

لو كان يعنيهم عز قومهم ما تسلطوا عليهم وأرهبوهم فكريا وعقديا وبدنيا..

لقد تحدث القرآن المجيد عن علاقة الإرهاب هذه في سور قرآنية كثيرة، منها ما جاء في سورة سبأ ﴿ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الآيات من ٣١ - ٣٣.

وهكذا اجتمع قوم هود كبراؤهم وضعفاؤهم- على تكذيبه، وواصل هود النصيحة والترغيب والترهيب، وتقديم الأدلة وحسن البيان. فلم يكترثوا بدعوته واستخفوا برسالته وأصروا إصرارًا.. وعبر القرآن المجيد عن ذلك في سورة الشعراء فقال على لسانهم ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ الآيات من ١٣٦ - ١٣٨.

***

نصر الله

قال الله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ بِٱلۡحَقِّ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءٗۚ فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ المؤمنون الآيات من ٣٩ - ٤١.

نأتي إلى خاتمة قصةهود عليه السلام في سورة المؤمنون، لقد يئس هود من إيمان قومه، واستنفد معهم كافة وسائل النصح والإرشاد، وظلوا على عدائهم واستهزائهم بالدعوة والداعي، بالرسالة والرسول..

فتوجه هود عليه السلام إلى ربه ضارعا: ﴿ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ ﴾ أى انصرني على قومي وأنزل سخطك بهم وبأسك عليهم لأنهم كذبوا وعاندوا..

فهذا دعاء بتحقيق الوعد والوعيد، الوعد بالنصر والتمكين لدعوة الحق ودعاته، والوعيد بالهزيمة والهلاك للباطل وأهله، كما قال تعالى في سورة الصافات ﴿ وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ الآيات من ١٧١ - ١٧٣.

وكان الجواب الإلهي حاسما وسريعا: ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٤٠.

وندمهم فى هذه اللحظة لا يجدى فتيلا، فإن لحظة العذاب والهلاك ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾ الأنعام الآية ١٥٨.

ووقع الحق وبطل الباطل، فجاءتهم الصيحة، عذاب استئصال حل بالقوم عدلا إلهيا، لا ظلم فيه، وحتما مقضيا لا دفع له، فأصبحوا غثاء كغثاء السيل، مما يعلوه من الزبد (الرغوة) يذهب ولا يبقى له أثر..

والصيحة المذكورة هنا فسرتها آيات فى القرآن المجيد كقوله تعالى ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨ ﴾ الحاقة الآيات من ٦ – ٨.

والريح الصرصر هى الريح الباردة، لها صوت شديد مزعج..

وهكذا تحقق وعد الله ووعيده، وتلك سنة جارية لا تتخلف، «فبعدا للقوم الظالمين» أى هلاكا وسوء عاقبة..

فالظلم ظلمات، وأفحش الظلم الكفر والشرك والاستهزاء بآيات الله ورسله..

وإن عدل الله يلاحق هؤلاء الظالمين وإن طال بهم الأمد، حتى إذا أخذهم وأدركهم كانوا سلفا ومثلا للآخرين..

قال تعالى فى سورة السجدة ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ۝٢٢ ﴾ الآية ٢٢.

تواصل الأجيال البشرية

قال الله تعالى ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ المؤمنون الآيات من ٤٢، ٤٣.

القصص القرآني يقدم فنونا عدة في أساليب العرض، وحكاية الوقائع، وتتابع الأحداث..

فتارة يفصل وأخرى يجمل، وتارة يستقصي وأخرى يتخير، وفي سورة يبرز جانبا وفي أخرى يؤكد جانبا آخر.. كل ذلك حسب السياق الموضوعي للسورة، والهدف المراد منها، والغاية المنشودة.. قال جل شأنه ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَـٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ هود الآية ١٢٠.

وسورة المؤمنون ساقت بعض القصص بما يتناسب مع حكمة السورة في بيان موقف الأمم من دعوة الرسل، وعدل الله في ملاحقة المكذبين، فقدمت قصة نوح وقصة هود عليهما السلام، ثم طوت بعض المراحل، فجاءت على سبيل الإجمال في قوله سبحانه ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٤٢، ثم عادت فذكرت قصة موسى وعيسى عليهما السلام، ثم ختمت بقصة محمد ﷺ..

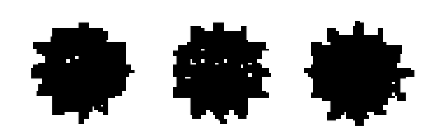
والقرون هى الأجيال البشـرية التى أنشـأها الله وخلقها، ومنحها الوقـت والحياة لتواصل مسـيرة الوجود الإنسـانى فى عمـارة الكون بمنهج الله..

ولقد حدد الله لكل أمة أجلا، كما حدد لكل فرد عمرا. فإذا كان الإنسان الفرد يولد ويكبر ويشيب، فإن الأمم كذلك تولد وتزدهر وتضمحل..

وتعد هذه الإشـارة القرآنية مدخلا مهما لعلـم الاجتماع، وقد ذكر العلامة ابن خلدون فى مقدمته أن للدولة أجلا تنتهى عنده، تمر خلاله بثلاثة أجيال:

جيـل يبني ويؤسـس، وجيل يحافـظ، وثالث ينغمـس في الترف وينسى الحماية والمدافعة..

وهكذا تتوالى أجيال البشـر فى تعاقب مستمر، لا تتقدم أمة أجلها وتستأخر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها..



تتابع الرسل

قال الله تعالى ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (٤٤) ﴾ المؤمنون الآية ٤٤.

شملت عناية الله الإنسان خلقا وهداية . فقد خلق الله الإنسان خلائف، يخلف بعضهم بعضا، وتتعاقب الأجيال زمنا بعد زمن..

وفي كل جيل، وفي كل زمن تتابعت رسالات الله عز وجل، تنير الطريق للسالكين، وتضيء المعالم الواضحة للسائرين، وتحدد ملامح المنهج القويم لعمارة الكون وعبادة رب العالمين وكلمة «تترى» على وزن فَعْلى، كدعوى وتقوى، وتاؤها بدل من الواو، فإنها مأخوذة من الوتر، وأصلها وَتْرى، وهي من المواترة بمعنى المتابعة..

ومع تتابع الرسل ووضوح المنهج وسلامة الهدف ونبل الغاية فإن الناس في أزمان كثيرة لم يستجيبوا الاستجابة المحمودة، ولم يستوعبوا عبرة التاريخ فكذبوا الرسل واختلقوا الأقاويل حول الرسالة والرسول، فحقت عليهم اللعنة وشملهم الهلاك وصاروا خبرا بعد عين، وعبرة لأولي الألباب، وأصبحت أحوالهم وأحداث حياتهم مما يتلهى بها الناس، ويتندر بها في المجالس..

فقوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ﴾ له معنيان:

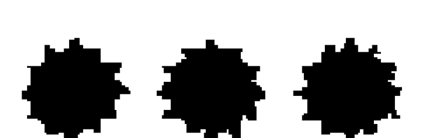
الأول: أحاديث جمع حديث، بمعنى أن القوم المكذبين اندثروا وبادوا ولم يبق لهم أثر إلا أحاديث تروى عما كانوا عليه وما آلوا إليه..

الثاني: أحاديث جمع أحدوثة، بمعنى أن القوم المكذبين تحولوا إلى مادة استهزاء وسخر لمن بعدهم، صاروا أحدوثة أى أعجوبة وأضحوكة..

وإذا كان ذلك عاجل عقابهم فى الدنيا فإن عذاب الآخرة أشد وأبقى..

وقوله تعالى ﴿ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ (٤٤) ﴾ معناه أن الهلاك ملازم لهم فى الدنيا والآخرة فالإنسان لا تنتهى حياته بالقبر، بل ينتقل إلى مرحلة أخرى للحساب الأكبر والجزاء الأبدى..

والناس فريقان: شقى وسعيد، فريق فى الجنة وفريق فى السعير..



فكر بنى إسرائيل

- رسالة موسى عليه السلام
- أخلاق قوم فرعون
- شبهة قوم فرعون
- عاقبة فرعون وقومه
- توراة موسى عليه السلام
- آية عيسى عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ المؤمنون الآيات من ٤٥ – ٥٠.

رسالة موسى عليه السلام

قال الله تعالى ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَـٰرُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٤٥.

تواصل سورة المؤمنون عرض قصص الأنبياء بما يؤكد عبرة التاريخ في ملاحقة العدل الإلهى للمكذبين للحق..

لقد أرسل الله موسى وبعث معه أخاه هارون، يشد أزره ويشاركه الدعوة، لأنه كان أفصح لسانا باللغة المصرية القديمة، فإن موسى عليه السلام قد انتقل من مصر، وعاش دهرا في سيناء، والتقى بالشيخ الكبير هناك. وتزوج ابنته ومكث عشر حجج، فنسى الكثير من أساليب اللغة المصرية القديمة، ولم يعد ماهرا في النطق بها لتوقف استخدامه لها خلال هذه المدة..

ولقد أدرك موسى هذه الحقيقة فدعا ربه ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَـٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ﴾ طه الآية ٢٥ - ٣٠.

فعقدة اللسان عند موسى هي توقفه عن استخدام اللغة المصرية القديمة مدة عشر سنين، هي مدة مقامه بسيناء..

وهـذه الحقيقة بعينها هى ما أشـار إليه موسـى عليه السلام فى قوله ﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾ القصص الآية ٣٤.

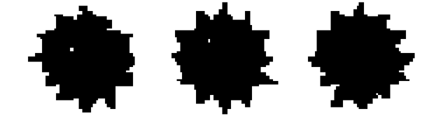
ففصاحـة هارون هى سـلامة نطقه باللغة المصريـة القديمة لتواصل تعاملها بها..

لقد بعث الله موسـى وهارون بالآيات والسـلطان المبين، والمرادُ بها دلائـل الحق وشـواهد الصدق التى قدمها موسـى لفرعون وقومه خلال مدة الدعوة..

لقد جاءهم موسى عليه السلام بالآية الكبرى وهى انقلاب العصا حية بأمر الله تعالى حتى صارت تلقف ما ألقاه السـحرة وتأكله أكلا، وأخرج لهم موسى يده السوداء من جيبه بيضاء من غير سوء، تشع نورا..

فلما رفضوا الاسـتجابة لداعى الحق قدم لهم نذرا، فأصابهم الجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الأموال والثمرات، فمازالوا مترددين فى قبول الحق..

وأقـام معهم موسـى أكثر من حـوار، وقدم لهم أكثر مـن دليل، لكن فرعون وملأه جحدوا دعوة الحق وأفسدوا فى الأرض.. قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ ﴾ طه الآية ٥٦.



أخلاق قوم فرعون

قال الله تعالى ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٤٦.

إن عقدة العقد التي تصيب النفس الإنسانية هي الاستكبار والترف.. فالاستكبار والأنفة مرض خطير يمنع من قبول الحق والرضا به، ويدفع إلى التمرد والإفساد في الأرض..

ولهذا قال النبي ﷺ في صحيح الحديث: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال رجل: يا رسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة؟! فقال عليه الصلاة والسلام: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس».

والترف آفة خبيثة تدفع إلى إهدار النعمة ونسيان المنعم والعبث بالقيم، ولهذا كان الوصف الأول لأصحاب الشمال ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ الواقعة الآية ٤٥.

وكان أول تقريع للكافرين ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ الأحقاف الآية ٢٠.

إن فرعون وملأه جمعوا الخستين، الاستكبار والترف، لقد كان فرعون ذا أوتاد، له قوة وبطش وجبروت، وكان يعيش فى جنات وعيون، قال تعالى ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ ﴾ الفجر الآيات من ١٠ – ١٢.

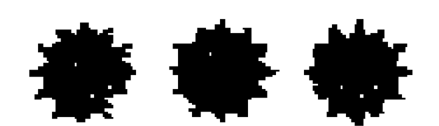
وقال جل شأنه ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ الزخرف الآية ٥١.

إن الطاغية المستبد يزداد طغيانا ببطانة السوء، وباستكانة الأمة..

فبطانة السوء تزين القبيح، وتخدع فى النصيحة، واستكانة الأمة تغرى بالاستبداد وتسوق الطاغية إلى مزيد من قبائح الفعال والسلوك..

قال تعالى ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ الزخرف الآية ٥٤.

وقد بين رسول الله ﷺ أهمية البطانة لولى الأمر فقال– كما فى صحيح البخارى– «ما بعث الله من نبى ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان، بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، والمعصوم من عصم الله».



شبهة قوم فرعون

قال الله تعالى ﴿ فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ٤٧ ﴾ المؤمنون الآية ٤٧.

تسوق هذه الاية الكريمة شبهة قوم فرعون، التى خدعوا بها أنفسهم حين رفضوا دعوة الحق التى جاءهم بها موسى وهارون عليهما السلام..

وهي شبهة ذاتُ شقين:

(أ) أنؤمن لبشرين مثلنا.

(ب) وقومهما لنا عابدون.

وهذه الشبهة بعينها ترديد لشبهة المكذبين من قبل، فقد قالها قوم نوح وقوم هود وقوم صالح، ورددها بعدهم مشركو العرب على عهد سيدنا محمد ﷺ قال تعالى حكاية عن هؤلاء جميعا:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ٦ ﴾ التغابن الآية ٦.

لقد أراد فرعون صرف قومه عن الإيمان بدعوى بشرية موسى وأن قومه أذلاء، ليس لهم مكانة اجتماعية..

وعجيب أمر فرعون، لقد ادعى لنفسه الألوهية والربوبية، وأذاق قومه البأساء والمهانة، وسلك بهم مسالك الهلكة وأحلهم دار البوار..

قال تعالى ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى ﴾ القصص الأية ٣٨.

وقال جل شأنه ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ النازعات الآيات ٢٣، ٢٤.

إن الله اصطفى موسى وهارون، واختارهما لحمل أمانة التبليغ وأيدهما بالمعجزات الباهرة ونصرهما النصر المبين..

وموسى عليه السلام واحد من أولى العزم من الرسل الذين جاهدوا فى الله حق جهاده وهم خمسة، محمد ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام.

وقد خصهم الله تعالى بالذكر فى موضع التكريم والاصطفاء فقال ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ ﴾ الأحزاب الآية ٧.

وقال جل شأنه ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ الأحقاف الآية ٣٥.

* * *

عاقبة فرعون وقومه

قال الله تعالى ﴿ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٤٨.

تتحدث الآية الكريمة عن عاقبة فرعون وقومه الذين رفضوا الاستجابة لنـداء الحق، وصمـوا آذانهم عن دعوة الخير، وأغلقـوا عقولهم وقلوبهم حتى لا يروا نور الآيات الباهرات التي قدمها موسـى وهارون دلالة على صدق الرسالة..

وهلاك قوم فرعون فصلتـه مواضع عدة في القرآن المجيد، لقد أمر الله تعالى موسى أن يخرج ببني إسرائيل ليلا من مصر، ويعبر بهم البحر إلى سـيناء بعد أن يشير إلى البحر بعصاه فينحسر الماء على الجانبين، ويبرز بينهما طريق ممهدة يمضي فوقها بنو إسرائيل بلا خوف ولا فزع..

وبلـغ الخبر فرعـون فاتبعهـم بجنوده بغيـا وعدوا، حتـى تراءى الجمعان، وظن أصحاب موسـى أنهم مدركون، فطمأنهم موسى عليه السلام بأن الله منجز له ما وعد، وناصرهم على عدوهم..

ووقف فرعون مشـدوها، يرى المعجزة التـي حدثت من انغلاق البحر وتوقف الماء عن الجريان.. وسـولت له نفسـه أنه يستطيع أن ينتفع بهذا

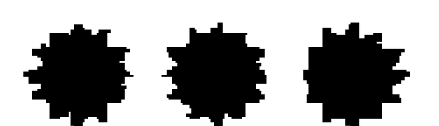
الطريق الذى شـقته يد القدرة الإلهية المبدعة، ونسى أنها المعجزة لموسى والدمار لفرعون وجنوده..

ونزل فرعون بجنوده البحر فغشيهم من اليم ما غشيهم، وأحدقت بهم الأمواج وطوتهم ظلمات البحر..

وفى هـذه اللحظة أدرك فرعـون خطأ معتقده وضـلال تفكيره فتعالى صوتـه ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ يونس الآية ٩٠.

ولكن هيهـات، فقد مضى الوقـت وانتهى الإمهـال، وتحقق الوعيد ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ يونـس الآيـة ٩١، وشـاء الله أن يلفظ البحـر جثة فرعون لتكـون عبرة للأولين والآخرين..

وإذا كان المصريـون القدماء يحفظون موتاهم فقـد يكون لهذا الفرعون نصيب من هذا التحنيط ليظل البدن شـاهدا على فسـق صاحبه وضلاله، وناطقا بذله وهوانه، مؤكدا عدل الله فى عقابه وسنته فى ملاحقة أعدائه.. قـال تعـالى ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ يونس الآية ٩٢.



توراة موسى عليه السلام

قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٤٩.

انفرد موسى عليه السلام ببني إسرائيل بعد أن انقذهم من بطش فرعون وجبروته، فكانوا في حاجة إلى قانون يسوسهم، وإلى دستور ينظم حياتهم ويبني مجتمعهم الجديد..

فتلقى موسى التوراة فيها الهدى والنور لبني إسرائيل، وكان هذا التلقي بعد هلاك فرعون كما صرح به قول الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ القصص الآية ٤٣.

وتتضمن التوراة- كما أنزلها الله في صفائها الأول- أحكاما تشريعية مختلفة تتعلق بالعبادات والمعاملات.. قال الله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ البقرة الآيات ٨٣، ٨٤.

وكانت أحكام التوراة فى مجملها شديدة، تعالج قسوة بنى إسرائيل وتمردهم، فحرمت أشـياء عليهم من باب التأديب والعقاب قال تعالى ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ ﴾ النسـاء الآيات ١٦٠، ١٦١.

وقد سجل القرآن موقفين لبنى إسرائيل:

الموقف الأول هــو القبول للحق والإنعان للوحى فأورثهم الله الأرض وبدلهم من بعد خوف أمنا.. قال تعالى ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ الأعراف الآية ١٣٧.

والموقف الثانى هو التحريف والتبديل للوحى والتمرد على الرسل، وقد وصفهم القرآن بما يليق بحالهم هذه فقال ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾ الجمعة الآية ٥.

ومنــذ تلك اللحظــة لازمتهم اللعنــة الإلهية وأحاطـت بهم الذلة والمســكنة.. قال تعالى ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ﴾ البقرة الآية ٦١.

آية عيسى عليه السلام

قال الله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٥٠.

هذه الآية الكريمة أجملت قصة عيسى وأمه مريم عليهما السلام، فقد جعلها الله دلالة قاهرة تظهر قدرة الله الباهرة..

لقد حملت مريم البتول بعيسى دون أن يمسها بشر، ولما جاءها الملك الأمين ليبشرها بهذه الكرامة الكبرى، دار حوار بينهما سجله القرآن المجيد في مثل قوله تعالى ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾مريم الآيات ٢٠، ٢١.

لقد استحق عيسى عليه السلام أن ينفرد بأنه كلمه الله، لأنه نشأ بكلمة الله التكوينية مباشرة دون أسباب ومسببات..

والملاحظ فى البيان القرآنى أنه ينسب دائما إلى أمه مريم، وهى المرأة الوحيدة التى صرح القرآن باسمها، وذلك ليقطع تأويلات الخراصين وانحرافات الأفاكين، فعيسى عبد الله ورسوله، بشر كالبشر، يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق، اصطفاه الله فى مولده ونشأته ورسالته،

فهو عبد مصطفى، وبشر رسول، وإنسان تحمل أمانة البلاغ عن الله كما تحمله أنبياء الله ورسله فى كل زمان ومكان.

قال تعالى ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٧٥) ﴾ المائدة الآية ٧٥.

ثم ذكرت الآيــة الكريمة لونا آخر من تكريم الله لهذا الوليد المبارك وأمه البتول فقال تعالى ﴿ وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (٥٠) ﴾ المؤمنون الآية ٥٠.

والربوة هى الأرض المرتفعة، ومعنى ﴿ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (٥٠) ﴾ أن فيها أسباب الإقامة والاستقرار من الثمار والماء، فهى أرض تنبت من كل زوج بهيج ويجرى فيها الماء المعين الذى تعاينه العين ويسهل الانتفاع به..

وقــد ذكر بعض المفســرين أن هــذه الأرض المباركة هــى أرض مصر المحروسة، حين لجأت إليها مريم حاملة وليدها خشية بطش اليهود الذين يفسدون فى الأرض ويتعقبون المصلحين.



قانون الصراع الفكرى

- نداء إلهى عام
- أمة واحدة
- اختلاف الأمم
- استدراج
- خشية المؤمنين
- الإيمان بآيات الله
- الإخلاص
- الإيمان بالرجعى إلى الله
- السابقون السابقون
- فضل الله وعدله
- غمرة القلوب
- منقلب الكافرين
- أسباب العذاب

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا
تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ (٥١) وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ
فَٱتَّقُونِ (٥٢) فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ
فَرِحُونَ (٥٣) فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ (٥٤) أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا
نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ
(٥٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ (٥٧) وَٱلَّذِينَ هُم
بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ (٥٨) وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ (٥٩)
وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ (٦٠)
أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ (٦١) وَلَا نُكَلِّفُ
نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ (٦٢)
بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ مِّنۡ هَٰذَا وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمۡ لَهَا
عَٰمِلُونَ (٦٣) حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ
(٦٤) لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ (٦٥) قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي
تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ (٦٦) مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ
سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ (٦٧) ﴾ المؤمنون الآيات من ٥١ – ٦٧.

نداء إلهى عام

قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٥١.

هذا نداء من الله تعالى لكل نبى فى زمانه بأن يلتزم الأكل من الحلال الصافي وأن يستقيم على المنهج الإلهى استقامة كاملة..

فقوله تعالى ﴿ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ هو دعوة إلى الكسب الحلال الذى لا يعرف ربا أو ريبة، ولا يشتمل على غش أو خديعة، ولا يظلم الناس أموالهم..

فإذا تحقق الكسب الحلال وجب أن يتبعه الإنفاق المأمور به بلا إسراف أو تقتير، ومن غير مَنٍّ ولا أذى. وبلا نسيان للمنعم المتفضل سبحانه وتعالى..

فالمال الطيب إنما يتحقق بالحلال فى المورد، والبر فى المصرف، فإن اختل جانب لم يعد المال طيبا، فالذى لا يحرص على الحلال فى جمع المال يكون ماله خبيثا، والذى يكنز المال أو ينفقه فى معصية يخسر ما جمع، ويشقى بما حصل، ويكوى به فى نار جهنم..

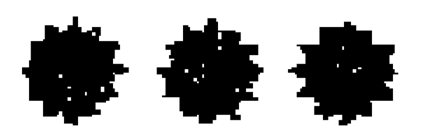
وقوله تعالى ﴿ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ ﴾ هو دعوة إلى الالتزام بشرع الله ودينه فى كافة شئون الحياة، ويكون العمل صالحا إذا وافق الشرع وتحقق فيه الإخلاص..

فالابتداع فى الدين جريمة، قال عليه الصلاة والسلام.. «من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».

والرياء محبط للعمل، مضيع للثواب، والله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم..

وهذه الدعوة إلى طهارة المال وإصلاح الأعمال هى دعوة الله إلى جميع المؤمنين، لأن الأنبياء هم القدوة والمثل الأعلى.. ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾ وقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ البقرة الآية ١٧٢.

وجاء قوله تعالى ﴿ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ تنبيها على تحقيق كمال المراقبة لله وتمام الإخلاص له سبحانه فالله تعالى لا تخفى عليه خافية، يعلم السر والنجوى..



أمة واحدة

قال الله تعــالى ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٥٢.

تتحــدث هذه الآية الكريمة عن الدين الحق الذى تنادى به الفطرة، ويدعــو إليه العقل، ونزل به الوحى الأمين على أنبياء الله ورســله فى كل زمان ومكان..

إنه توحيد الله فى ربوبيته وألوهيته، والاستعداد للحساب والجزاء ﴿ يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ ﴾ آل عمران الآية ٣٠.

وهــذا المعنى هو المشــار إليه فى قول رســول الله ﷺ «نحن معاشــر الأنبياء إخوة لعلات، ديننا واحد».

والإخوة لعلات هم أولا الرجل من نسوة شتى.

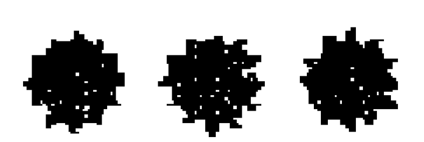
إن الرسالات الإلهية التقت كلها على أصول العقيدة والعبادة والأخلاق، ويعــبر عن ذلك ميثاق بنى إســرائيل- على ســبيل المثــال- فقد قال الله تعــالى ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ البقرة الآية ٨٣.

وما وراء ذلك من تفصيلات الأحكام فى العبادة والمعاملة، فتلك قضية تخضع لظروف الزمان والمكان، فما يصلح لأمة قد لا يتناسب مع أمة أخرى، بل ما يصلح لأمة فى زمن قد لا يستمر لزمن آخر..

والحكمة واضحة فى نسخ الشرائع بعضها لبعض، فإن الطبيب- ولله المثل الأعلى- قد يصف دواء لمريض ولا يصفه لمريض آخر يتشابه معه فى المرض، وقد يصف دواء لمريض فى وقت دون آخر، ولمدة لا يتجاوزها..

فالله تعالى له الخلق والأمر، وهو أعلم بعباده، وله الحكمة البالغة ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ الملك الآية ١٤.

فرسالات الله تمثل أطوار مناهج التربية الإلهية لبنى الإنسان، فيها الثوابت من أصول الدين، والمتغيرات من أحكام التشريع..



اختلاف الأمم

قال الله تعالى ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًاۖ كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٥٣.

الأصل في البشرية أنها بدأت مؤمنة موحدة، على الفطرة النقية التي أشار إليها القرآن في قوله تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الروم الآية ٣٠.

والفطرة على المستوى الجمعي تعني أن البشرية جمعاء بدأت عقيدتها بالتوحيد الخالص لله تعالى انطلاقا من أولية آدم عليه السلام وهبوطه إلى الأرض طاهرا مجتبى ونبيا رسولا..

والفطرة على المستوى الفردى تعني قبول الإنسان للحق وإيمانه بالله ويقينه بأن للكون خالقا مبدعا حكيما لا شريك له، طالما كان الفرد سليما من آفات التقليد والهوى.

وفي ذلك يقول النبي ﷺ «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تُنْتج البهيمة بهيمة عجماء هل تحسون فيها من جدعاء؟».

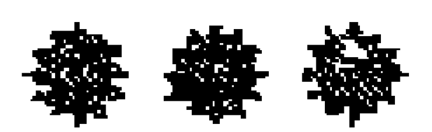
لكن الناس فى أزمان كثيرة وأماكن متعددة انحرف بهم العقل واستحوذ عليهم الشيطان فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا، أى اختلفوا اختلافات شتى، وذهبوا مذاهب بدعة وضلال. وتفرقوا إلى أديان باطلة..

فالزبر والزبور هو القطع والأجزاء كما فى قوله تعالى ﴿ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ﴾ الكهف الآية ٩٦، أى قطع الحديد.. والمراد بالزبر فى آية سورة المؤمنون الأحزاب والفرق..

وأصبح كل حزب فرحا بما لديه، يظن أنه على الحق، ويتهم غيره بالباطل دون وعى وتمحيص..

وظلت الأمور مشتبهة، يحكمها التقليد الأعمى والإرث الفاسد والعادة البالية وتحير الناس حتى جاء الإسلام ودعا إلى يقظة الفكر وعودة الوعى ونقاء الدين.

وفى صحيح الحديث قال عليه الصلاة والسلام «إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب».



استدراج

قال الله تعالى ﴿ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ المؤمنون الآيات من ٥٤ – ٥٦.

هذه الآيات تهز العقول والقلوب هزا، يدفع إلى عودة الوعى ويقظة الضمير..

إن هؤلاء المنحرفين عن المنهج الإلهى القويم غمرتهم الجهالة العمياء، كما يغمر الماء ويغطى الأشياء أثناء الطوفان الجارف، فعقول هؤلاء قد عميت فلم تعد تبصر حقا أو تدرك نورا..

لقد خدعوا بما منحهم الله من مال وبنين، وسلطان وبسطة حياة، وظنوا جهلا أن هذه النعم تكريم إلهى لهم، وتناسوا أن الله يمنح الدنيا لمن يحب ومن لا يحب وأن الله يقبض ويبسط على مقتضى الحكمة الإلهية وليس على مقتضى المحبة الدينية. فهم لا يشعرون بهذه الحقيقة، وتستهويهم متع الحياة إلى حين..

ذلك الحين قد يكون مرضا مقعدا، أو هرما مفندًا، أو موتا مجهزا، أو زوالا للنعمة محزنا، أو عقابا عاجلا..

والله تعالى لا يعجل بعجلة أحد، وهو سبحانه يُمهل ولا يهمل، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾ ﴾ الطلاق الآية ٣.

وقد أكد القرآن المجيد هذا المعنى كثيرا، فقال ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا ﴿٥٩﴾ ﴾ الكهف الآية ٥٩، وقال ﴿ فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ ﴾ القلم الآيات ٤٤، ٤٥.

وإذا كانت هذه الآيات تحذيرا للكافرين المجرمين فأولى بالمؤمنين أن يكونوا على حذر، ولا تخدعهم النعمة، فيطغيهم المال ويفسدهم الجاه، وما كانت الدنيا لتدوم لأحد، فإما أن يفارقها وإما أن تفارقه..

ولهذا قال عليه الصلاة والسلام- كما رواه الترمزى-: بادروا بالأعمال سبعا، هل تنتظرون إلا فقرا منسيا، أو غنى مطغيا، أو مرضا مفسدا، أو هرما مفندا، أو موتا مجهزا، أو الدجال فشرُ غائبٍ ينتظر، أو الساعة والساعة أدهى وأمر.

فالحياة فرص يغتنمها الإنسان فى عمل الخير وخير العمل..

❁ ❁ ❁

خشية المؤمنين

قال الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٥٧.

تحدد الآيات هنا أوصاف المؤمنين المسارعين إلى الخيرات، وجعلت في مفتتحها الخشية من الله تعالى.. وقد جاء التعبير القرآنى فى هذه الآية بالإشفاق من خشية الرب سبحانه وتعالى، وقد قال الإمام الرازى فى تفسيره:

والإشفاق يتضمن الخشية مع زيادة رقة وضعف، فمنهم من قال: جمع بينهما للتأكيد، ومنهم من حمل الخشية على العذاب، والمعنى: الذين هم من عذاب ربهم مشفقون، ومنهم من حمل الإشفاق على أثره، وهو الدوام على الطاعة، والمعنى الذين هم من خشية ربهم دائمون فى طاعته، جادون في مرضاته..

ويرى الرازى فى تحقيق المسألة أن من بلغ فى الخشية إلى حد الإشفاق وهو كمال الخشية كان فى نهاية الخوف من سخط الله عاجلا ومن عقابه آجلا، فكان فى نهاية الاحتراز عن المعاصي..

وهكذا فالمؤمن الذى يحرص على السعادة فى الدنيا والآخرة لابد أن يكون على خشية من ربه، ولعل التعبير بالرب يوحى بسبب الخشية،

فالرب هو المنعم المتفضل، الذى بيده ملكوت كل شــىء، ومقاليد الأمر كله، فما لم يخش الإنســان ربه فقد عــرض النعم للزوال وتعرض هو للعقاب.. فإن الله يقبض ويبســط، ويمنح ويمنع، ويعز ويذل، ويحيى ويميت مع القدرة المطلقة والســلطان الأعظــم والملك الأتم الأكمل، فهو ســبحانه أحق بالرهبة والرغبة، وأجدر أن يعبد فلا يكفر، ويشــكر فلا يجحد..

قال تعــالى ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ آل عمران الآيات ٢٦، ٢٧.

وإن غايــة المؤمن ومنتهــى أمله هو الفردوس الأعلــى، والأمر ليس أماني مجردة ولا آمالا معســولة. وإنما الأمر عمل وجهد وجهاد، قال عليه الصلاة والســلام- كما رواه الترمذى-: من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله هى الجنة.

ومعنى «أدلج» ســار من أول الليل، والمراد التبكير فى الطاعة والجد فى أدائها والحرص عليها.

❁ ❁ ❁

الإيمان بآيات الله

قال الله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٥٨.

هذه هى الصفة الثانية للمؤمنين المسارعين فى الخيرات، وهى الإيمان بآيات الله، وآيات الله نوعان: آيات كونية وآيات قرآنية.

فالآيات الكونية هى الليل والنهار، والشمس والقمر، والسماء والأرض، والبر والبحر، وكافة الظواهر الطبيعية ومظاهر الكون، فهى أثر من آثار قدرة الله عز وجل، تسوق المتأمل فيها إلى حقيقة التوحيد الخالص لله رب العالمين..

قال تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾فصلت الآية ٥٣.

والآيات القرآنية هى الوحى الإلهى المنزل على قلب سيدنا محمد ﷺ بالهدى والنور، يبنى الحياة المثلى، ويصوغ الإنسان الكامل، ويمنح سعادة الدنيا والآخرة.

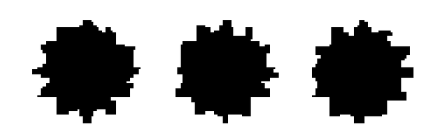
قال الله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ الشورى الآية ٥٢.

والنص القرآنى يجمع بين النوعين من الآيات، فالعلاقة بينهما وثيقة، فإن رب الكون هو الذى أنزل القرآن، فالقرآن كون مقروء، والكون قرآن منظور..

وتأمل معى هذا النص القرآنى الحكيم ﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾ الجاثية الآيات من ١ - ٦.

بالله عليك ما المراد بآيات الله المتلوة هنا؟ إنها الكون المقروء أو القرآن المنظور، وإن من أدرك روائع الصنعة آمن بقدرة الصانع، وإن من أدرك بلاغة التنزيل وإعجاز القرآن آمن أنه تنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين..

فالمسلم المسارع إلى الخيرات على وعى كامل بآيات الله الكونية والقرآنية، ويرتبط قلبه وعقله بنواميس الكون ومناهج الوحى، ويواصل مسيرة حياته فى نور العقل مع الشرع..



الإخلاص

قال الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٥٩.
هذه هي الصفة الثالثة للمسارعين في الخيرات.. فإذا تحقق للمسلم خشية الله في السر والعلن، وامتلأ قلبه وعقله بالإيمان بآيات الله الكونية والقرآنية فقد ارتقت روحه وسمت نفسه فأصبح مخلصا، أخلص لله فأخلصه الله واصطفاه..

فعدم الشرك بالله مراد به هنا الإخلاص..

والله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك. ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم.. وفي صحيح مسلم بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» وقد رد الله تعالى أشكال العبادة بلا إخلاص وأحبط أعمال المرائين، وفي الحديث المتفق عليه عن أبي موسى الأشعري قال: سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله؟ فقال عليه الصلاة والسلام: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله.»

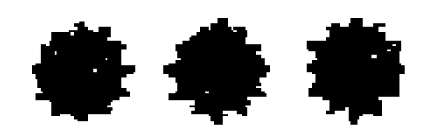
وقد تتحقق للمسلم النية الصالحة ويقعد به العمل فيبلغ درجة العاملين، وفي حديث رواه مسلم عن أبي عبد الله جابر بن عبد الله

الأنصـــارى قال: كنا مع النبى ﷺ فى غزاة، فقال: إن بالمدينة لرجالا، ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم، حبسهم المرض.

وفى رواية: إلا شاركوكم فى الأجر.

وفـــى رواية للبخـــارى عن أنس قـــال: رجعنا من غـــزوة تبوك مع النبى ﷺ فقال: إن أقواما خَلْفَنَا بالمدينة ما ســلكنا شــعبا ولا واديا إلا وهم معنا، حبسهم العذر..

فما أعظم فضل الله وما أكرم مثوبته.



الإيمان بالرجعى إلى الله

قال الله تعـالى ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) ﴾ المؤمنون الآية ٦٠.

هذه هى الصفة الرابعة من صفات المؤمنين المسـارعين فى الخيرات، إنهـم ملتزمون بمنهـج الله، يواصلون العمل ويجتهـدون فى العبادة، ولا يفرطـون فى مثقال ذرة من الخير، وهـم مع ذلك وجلون، يخافون التقصير ويخشـون التفريـط.. لأن عقيدتهم فى اليوم الآخر وما فيه من حساب وجزاء تجعلهم أكثر إتقانا للعمل، وأحسن أداء له..

فإن الناس إذا أيقنوا بالحسـاب بعد الموت، وبالجزاء بعد الحساب، وبالجنة والنار- عاشـوا فى هذه الحياة الدنيا عبادا لله إخوانا، ونعموا بهدوء الضمير وسكينة النفس، وعمهم الأمن والرخاء..

وإذا فقـدوا تلك العقيـدة انقلب المجتمع إلى ذئـاب، وتربص الكل بالكل، وشقى الجميع، وساد الظلم وعم الظلام..

لقـد اهتم الأنبياء جميعا بقضية اليـوم الآخر وواجهوا بها أقوامهم منذ اللحظة الأولى للدعوة..

لقد نزل آدم إلى الأرض محملا هـذه الوصية وملتزما بهذه القضية، قال الله تعالى ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن

تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَآ أُولَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ البقـرة الآيات ٣٨، ٣٩.

وحـذر نوح قومه مغبـة الكفر باليوم الآخر، قـال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ هود الآيات ٢٥، ٢٦.

وفي الوادي المقدس بسـيناء تلقى موسى رسالة ربه وتكاليف الدعوة وأسـس الدين، قال تعالى ﴿ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ طه الآيات ١٣ - ١٦.

وهكذا كانت دعوة كل نبي..

***

السابقون السابقون

قال الله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ (٦١) ﴾ المؤمنون الآية ٦١.

إن المؤمنين الصادقين يسارعون في الخيرات، ويسعون جاهدين للقيام بطاعة الله والالتزام بمنهج الوحى الإلهى..

فهم يؤدون العبادة- كما شرعت- بلا ابتداع فى أشكالها، ولا نقصان فى هيئاتها، ولا خروج عن حدودها.. ومن أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد كما أخبر بذلك الرسول الأمين ﷺ..

وقد جاءت أوصاف لهؤلاء المسارعين فى الخيرات فى آيات كثيرة من القرآن العظيم.. قال الله تعالى ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ (١٣٦) ﴾ آل عمران الآيات من ١٣٣ - ١٣٦.

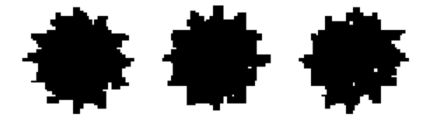
فقد جمعت هذه الصفات أصول الدين ومكارم الأخلاق وفضائل الأعمال، وذلك بذكر ثلاث صفات هى أساس الخير كله:

أولاها: الإنفاق فى السراء والضراء، ومتى تخلص المرء من سيطرة المال على قلبه سلم ونجا وارتقى فالشح هو الفساد بأجمعه، وحب الدنيا رأس كل خطيئة..

وثانيها: كظم الغيظ والعفو عن الناس، وتلك هى قمة الأخلاق الإنسانية.

وثالثها: الاستغفار وملاحقة الانحراف السلوكى وتلك هى غاية العبادة ومنتهى مقاصدها فالصلاة نور والصوم جنة والحج جهاد لا شوكة فيه..

فهؤلاء المسارعون فى الخيرات سابقون إلى الجنات، تغمرهم رحمة الله فى الدنيا والآخرة وتكلؤهم عناية الله فى كل وقت، ويحل عليهم السلام والرضوان فى كل حين..



فضل الله وعدله

قال الله تعالى ﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٦٢.

هـذه الآية الكريمة توضح عدل الله فى حكمه، ولطفه فى تكليفه وحسابه..

إن دين الله يسر، وإن شرع الله مرتبط بالوسع، لا يخرج عن نطاق الجهد الإنسانى المعتاد..

وهذا هو ما أكده القرآن كثيرا، ففى سورة البقرة قال تعالى ﴿ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ البقرة الآية ٢٣٣، وقال جل شأنه ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ البقرة الآية ٢٨٦.

وفى سورة الأنعام قال تعالى ﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ الأنعام الآية ١٥٢، وكذلك فى سورة الأعراف وجاء التعبير عن هذا المعنى بأساليب أخرى، مثل قوله تعالى ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ البقرة الآية ١٨٥، وقوله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ الحج الآية ٧٨.

فالصلاة تكون من قيام أو جلوس أو على أى هيئة استطاعها المسلم..

والصيام على المقيم السليم فإن سافر أو مرض فعدة من أيام أخرى..

والحج لمن استطاع إليه سبيلا..

والوضوء والغسل يكون بالماء فإن لم يتيسر كان التيمم بديلا..

والإنفاق بقدر الاستطاعة.. قال تعالى ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ﴾ الطلاق الآية ٧.

والجهاد بالنفس والمال فريضة على القادرين أما غيرهم فقد استثناهم الله بقوله ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ ﴾ التوبة الآية ٩١.

وقيام الليل أدب إسلامي يحرص عليه الأتقياء لكن ذوي الأعذار لهم حكم خاص.. قال تعالى ﴿ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ ﴾ المزمل الآية ٢٠.

واقتضت حكمة الله أن يخفف التكليف ويمنح التيسير لعباده، وأن يحاسبهم بموازين العدل وأن يسجل أعمالهم في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وسيتلقاه الإنسان يوم الحساب إما بيمينه أو بشماله..

غمرة القلوب

قال الله تعالى ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٦٣.

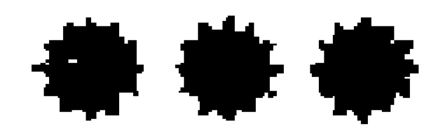
هذه الآية الكريمة لها تفسيران:

الأول: أن يرجع الضمير في قوله تعالى ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ ﴾ إلى المؤمنين المذكورين فى قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾، والمعنى أن هؤلاء السابقين إلى الخيرات يستولى عليهم فكر الجزاء، وتفكير الثواب والعقاب، ويتساءلون عقب كل خير يفعلونه، وأمام كل صالح يقدمونه: يا ترى هل يتقبل الله منهم؟ هل العمل خالص لوجه الله؟ هل ضوابط العمل وشروطه الشرعية قد تحققت على الوجه الأكمل؟ هذه التساؤلات تجعل قلوبهم فى غمرة، أى فى حيرة ووجل واشفاق، ومع ذلك تتواصل أعمالهم في البر والتقوى، ويمتد عطاء الخير على أيديهم وتظل جوارحهم مستقيمة على طاعة الله، وتتعلق قلوبهم بالملأ الأعلى، وتستضئ جوانحهم بلألاء الجمال والكمال والجلال..

الثانى: أن يرجع الضمير في قوله تعالى ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ ﴾ إلى الكفار المذكورين في قوله ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ المؤمنون الآيات ٥٣، ٥٤.

والمعنى أن هؤلاء الكافرين الخارجين على وحدة الدين، غافلون عن شرف القرآن وفضل الرسالة ونور التشريع، قد غمرهم الجهل كما يغمر الماء ويستر الأشياء عند فيضانه وكثرته..

لقد غمرهم الجهل وعمهم الظلام وأعماهم الغى فأعرضوا واستمرأوا المعصية وأقاموا على الكفر، ولهم أعمال أخرى يواصلون بها الاعتداء على القيم ومحاربة الفضائل وإشاعة الفاحشة.. وسيلحقهم الجزاء الإلهي العادل فإن الله تعالى يمهل ولا يهمل، قد جعل لمهلكهم موعدا لن يخلف.. ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ الشعراء الآية ٢٢٧.



منقلب الكافرين

قال الله تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ المؤمنون الآيات ٦٤، ٦٥.

يظل الكافر والعاصي في غمرة الكفر والمعصية، يواصل اعتداءه على القيم، وتحريفه للفكر وانحرافه عن الفضائل، وتغره بسطة جسم، وينسيه فضل مال، فلا يعرف الخالق المبدع الحكيم ولا يتأدب بأدب الشرع الحنيف..

وفجأة تتبدل الأحوال، وفي لحظة هي أقرب من لمح البصر تتعالى صرخات هؤلاء، وتتوالى استغاثاتهم، ويملأ الدنيا ضجيج بكائهم..

ولات ساعة مندم، لقد جاءهم العذاب من حيث لا يشعرون، قد يأتيهم في مأمنهم، وقد ينزل عليهم في ملهاهم، وقد يحل عليهم في مأكلهم ومشربهم، وقد ينزعهم من أحبابهم، وقد يخرجهم عن أموالهم وحصونهم وقد يهوى بهم من علياء قصورهم إلى مكان سحيق..

وصدق الله حيث يقول ﴿ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ الأنعام الآية ٦٥.

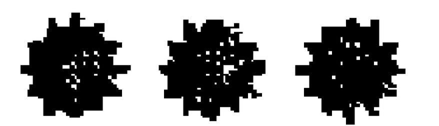
وصدق الله حيث يقول ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩) ﴾ الأعراف الآيات ٩٧ - ٩٩.

إن الصراخ والعويل من هؤلاء المترفين لحظة وقوع العذاب- لا يغنى من الحق شيئا، ولا يدفع عنهم بلاء، ولا يجلب لهم نصيرا، ولن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا..

إنهم لن ينتصروا من الله أبدا، فهو القوى القاهر، وهو الجبار المتكبر، وهو العزيز المتعال..

لقد كان الترف والغرور بالنعم هو السبب الغالب لانحراف الإنسان قديما وحديثا، فإن نعم الله يجب أن تستخدم فى شكر المنعم ومنفعة الخلق..

قال تعالى ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧) ﴾ إبراهيم الآية ٧.



أسباب العذاب

قال الله تعالى ﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ المؤمنون الآيات من ٦٦، ٦٧.

تبين هذه الآيات الكريمات الأسباب التى جعلت العذاب يحيق بالكافرين، ويحل عليهم بلا نصرة أو شفاعة..

لقد جاءتهم آيات الله دلائل واضحة ومعجزات باهرة، تحمل النور والهدى وتدعو للحق والخير، لكنهم نكصوا على أعقابهم، أى رجعوا إلى الوراء، والمراد أنهم تباعدوا عن الحق ونفروا منه، وفروا فرارا شديدا، فلم يستمعوا إليه استماع وعى وتفكر، ولم يلتفتوا إليه التفات تأمل وتدبر..

وكان تراجعهم استكبارا عن متابعة الحق، وأنفة من قبوله على أيدى المرسلين المصطفين الأخيار، وقالوا- كما حكى القرآن كثيرا-:

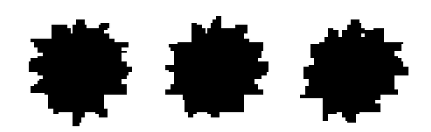
﴿ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ هود الآية ٢٧. قالوها لنوح عليه السلام..

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ الزخرف الآية ٣١، قالوها لمحمد ﷺ .

ولم يكتف هؤلاء بالنكوص والاستكبار بل اتخذوا آيات الله هزوا، وجعلوا من الوحى المنزل والرسول المصطفى مادة لسمرهم الفاحش.. فإن قوله تعالى ﴿ بِهِۦ ﴾ له تعلقان: الأول أن يتعلق بقوله ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ ﴾ ويعود الضمير على نكوصهم أى أنهم تراجعوا عن الحق مستكبرين بتراجعهم.

والثانى أن يتعلق بقوله ﴿ سَٰمِرًا ﴾ ويعود الضمير على الوحى والرسول أى سامرا بالوحي والرسول تهجرون، فقد أفحشوا القول باتخاذهم الوحى والرسول مادة لسمرهم واستهزائهم..

إن عذاب الله لهؤلاء الكافرين هو العدل المطلق، إنهم قوم لم يستشعروا نعمة الآيات وتراجعوا عن تأملها، واغلقوا منافذ الوعى لديهم، وغلبت عليهم حمية الجاهلية، فخسروا الدنيا والآخرة..



الرسالة العامة الخالدة

(أ) دلائل النبوة المحمدية

- شبهات المكذبين بالقرآن
- شبهات المكذبين بالرسول
- شرف الحق وفساد الهوى
- الحق المبرأ
- دعوة إلى الصراط المستقيم
- التمادى فى الطغيان
- الوقائع تتكلم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾
أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ
جِنَّةُۢۚ بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ
ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ
بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٧١﴾
أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيۡرٞۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾
وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ
بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا
بِهِم مِّن ضُرّٖ لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم
بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا
عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ **المؤمنون**
الآيات من ٦٨ – ٧٧.

شبهات المكذبين بالقرآن

قال الله تعـالى ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٦٨.

تتعقب هذه الآية شبهات المكذبين، وتدعوهم إلى الإنصاف في الحكم، والولاء للحق بعد أن سطعت أنواره وظهر الصبح لكل ذى عينين..

وقد اسـتقصت هذه الآية وما تلاها كافة ما يمكن أن يحجب عقولهم عن الإيمان بالرسالة والرسول..

ولنبدأ بآيتنا هذه ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ ﴾.

والمراد بالقول هنا القرآن المجيد، فهل تدبروا القرآن ثم وجدوا فيه مطعنا صرفهم عن الإيمان؟

إن القـرآن مركب من حروف كلماتهم العربية، ومع ذلك عجزوا عن المعارضة وأقروا بسمو بلاغته وعلو فصاحته..

إن القـرآن يتنـزل فيهم ليل نهار، يبين لهم حقائـق الوجود العليا، وعقائد الدين الصحيح، وفضائل الخلق العظيم، ومسالك البر والمعروف..

فلـو تدبر هـؤلاء المكذبون القرآن حـق التدبر لسـابقوا إلى الإيمان بـه ولسـارعوا إلى الدفاع عنـه، ولبذلـوا النفس والنفيس في سـبيل إعلاء كلمته..

ثــم تعرض الآية لجانب ثان، هــو: ﴿ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾..

هل نزول الوحي على محمد ﷺ، واصطفاء الله له بدع من الأمر؟!

إن النبــوة كانــت في مكة علــى عهد إسماعيل بــن إبراهيم عليهما الســلام، وكان هود وصالح نبيين كريمين لقبيلتي عاد وثمود، ويتجاور العرب مع اليهود أتباع موسى، والنصارى أتباع عيسى في اليمن ويثرب ويمرون عليهم في رحلة الشتاء والصيف.

وقــد كان العــرب يتمنون الرســالة والنبوة ويعلقــون عليها هداية حياتهم فلما تحقق لهم ذلك عتوا عتوا كبيرا.. وجاء في أسباب النزول أن قريشــا كانت تقول لو أن الله بعث نبيا، ما كانت أمة من الأمم أطوع لخالقها، ولا أسمع لنبيها، ولا أشد تمسكا بكتابها منا، فأنزل الله في سورة الأنعام، ﴿ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ﴾ الآيــة ١٥٧، وفــي ســورة فاطــر ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ﴾ الآية ٤٢، وفي ســورة الصافات ﴿ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ الآية ١٦٧ – ١٧٠.

***

شبهات المكذبين بالرسول

قال الله تعالى ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ المؤمنون الآيات من ٦٩، ٧٠.

تواصل الآيات قطع أعذار المكذبين، وتحاصرهم من كل جانب، وتذكر هنا موقفين يتعلقان بالرسول كما ذكرت فى الآية السابقة موقفين يتعلقان بالرسالة..

الموقف الأول هنا: ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ ﴾ فهل كان رسول الله غريبا عنهم، بعيدا عن ساحتهم، يجهلون نسبه وسلوكه وأخلاقه؟!

كلا لقد لقبوه بالصادق الأمين، وعرفوا طهر نفسه وعفاف خلقه وشمائل صفاته، ومكث فيهم أربعين سنة قبل النبوة لم يجدوا فيه مطعنا..

قال تعالى ﴿ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ يونس الآية ١٦ .

الموقف الثانى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ ﴾.

إن رسول الله أعقل الناس وأحكمهم، ولقد ارتضوه حكما بينهم حين اختلفوا في وضع الحجر الأسود عندما جددوا بناء الكعبة، فكيف يتهمونه اليوم بالجنون وينسبونه إلى التخليط؟!

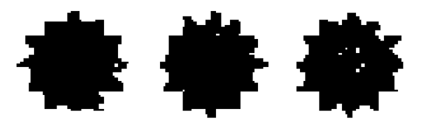
لقد جاءهم بما أعجز البلغاء، وفاق أحلام الفلاسفة، وشرع لهم ما فيه صلاح دينهم وحضارة دنياهم، وما يحقق لهم السعادة الكاملة..

إن الحقيقة الغائبة عن هؤلاء وأمثالهم في كل عصر هي أن محمداً ﷺ جاء بالحق وصدق المرسلين..

والحق قد يكون مرا ينفر منه ضعاف النفوس وصغار الأحلام وأصحاب السلوكيات المشينة والموروثات البالية والعقائد الزائفة..

وجاء التعبير القرآني ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ دقيقا بليغا، فأكثرهم للحق كارهون، لكن البعض منهم قبل الحق وآثره على ماله وولده والناس أجمعين، فكان السابقون في الإسلام من وجهاء القوم وضعفائهم، ومن رجالهم ونسائهم على سواء..

ورفض البعض الحق ليس كراهة له، ولكن خشية من بأس الناس أو ملامتهم مثل أبي طالب الذي ناصر ابن أخيه ودافع عنه وتحمل الكثير في سبيل حمايته ولكنه رفض أن ينطق بكلمة التوحيد عند موته خوفا من مقالة الناس..



شرف الحق وفساد الهوى

قال الله تعالى ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٧١.

لقد جاء الرسول ﷺ بالحق في العقيدة والشريعة والأخلاق..

فكان التوحيد الخالص لله في مقابل الإلحاد والشرك، وكانت الشريعة السمحاء بديلا عن قانون الغاب، وكانت الأخلاق العظيمة محل الجاهلية الجهلاء.. ولا يمكن بحال من الأحوال أن يكمن الحق في الإلحاد لأنه إهدار لكرامة العقل وامتهان لشرف الوعي الإنساني، فكل ذرة في الكون تنادى أن لها خالقا مبدعا حكيما، أعطى كل شيء خلقه ثم هدى..

ولا يعقل أن يكون الإله متعددا، فإن التعدد فساد للكون بأجمعه، ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ الأنبياء الآية ٢٢.

وتتهاوى بعد ذلك عقائد الحلول والاتحاد، واللاهوت والناسوت، فما كان لبشر أن يتجاوز حده فيصبح إلها أو جزء إله، أو فيه خاصة من خصائص الإله، فالله تعالى واحد أحد، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ الشورى الآية ١١.

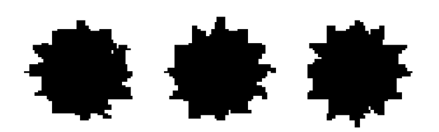
وإن العــزوف عن شــرائع الله ،وانتحال قوانين بشــرية هو فســاد عريــض، يجلب على النــاس الحروب والدمــار، ويدفعهم إلى انتهاك الأعــراض وتقطيع الأواصر، وقيام الحياة على صــراع المادة الذى يدمر كل شيء..

إن الإســلام هو الحق والشرف، وليس بعد الحق إلا الضلال، وليس بعد الشرف إلا الذل والهوان..

إن العــالم اليــوم يئن من الخواء العقدى والأخلاقي، ويســاق الناس إلى المصحــات العقلية، وتطحنهم الصراعــات العرقية، وتنقض عليهم أمراض الشذوذ والعلاقات الجنسية الآثمة..

وليس غير الإسلام دين أو قانون يحمى كرامة الإنسان ويصون حقوقه ويبنى شموخه العقلي، ويؤسس طهارة يقينه..

فمتــى تقف البشــرية وقفة تأمل مــع الذات وتتصالح مع الإســلام وتحتكم إلى شريعة الله؟!.



الحق المبرأ

قال الله تعالى ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٧٢) ﴾ المؤمنون الآية ٧٢.

قام سيدنا محمد ﷺ بالدعوة، وتحمل أمانة الرسالة. ونادى بالإصلاح العام، ولم يكن يريد مغنما ولا يسعى إلى سلطة، فهو ﷺ مبرأ من كل غرض مادى، منزه عن كل هوى رخيص، وهو يبتغى وجه الله والدار الآخرة..

إن سيدنا محمدا لا يسأل الناس عطاء على نصيحته لهم ودعوته إياهم، وحرصه عليهم، فثواب الله خير، وعطاء الله أجزل، ورزق الله أوسع..

وهم مهما أعطوا فعطاؤهم قليل.. إنه مادى.. إنه فان.. إنه مقطوع.. أما عطاء الله فهو مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهو عطاء متواصل غير مقطوع ولا ممنوع..

﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥) ﴾ البقرة الآية ٢٥.

وتحكى كتب السيرة أن قريشا عرضت على رسول الله ﷺ عرضا سخيًا لعله أن يكف عن دعوته، وأرسلوا إليه عتبة بن ربيعة وكان سيدا منهم، فجاء إلى رسول الله وقال له:

يـا ابـن أخى إن كنت إنما تريـد بما جئت به من هـذا الأمر مالا، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا..

وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا، حتى لا نقطع أمرا دونك..

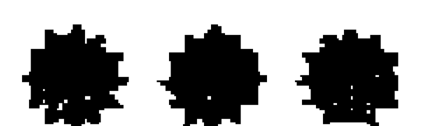
وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا..

وإن كان هذا الذى يأتيك رئيا [ما يتراءى للإنسـان من الجن] تراه، لا تسـتطيع رده عن نفسـك طلبنا لك الأطباء وبذلنا فيـه أموالنا حتى نبرئك منه..

فلما فرغ عتبة من عرضه قال له الرسول الكريم: فاستمع منى ثم قرأ عليه سـورة فصلت فرجع الرجل إلى قومه وقال: إنى سمعت قولا، والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة..

يا معشر قريش اطيعونى واجعلوها لى: خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه، فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت نبأ.

فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به..



دعوة إلى الصراط المستقيم

قال الله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ المؤمنون الآيات من ٧٣ - ٧٤.

قطع القرآن كل مسالك الشبهة عند المنكرين لنبوة سيدنا محمد ﷺ، وأكد أن هؤلاء المنكرين يتبعون أهواءهم التى تفسد ولا تصلح، وتهدم ولا تبني..

ثم جاء قوله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ ﴾ حجة على هؤلاء، وبيانا لرسالة سيدنا محمد ﷺ ..

فالإسلام هو الصراط المستقيم لا يعرف عوجا ولا أمتا، فهو الحق الواضح الجلي فى العقيدة، وهو العدل والإحسان فى التشريع، وهو الفضل والعظمة في الأخلاق، وهو النبل والصفاء في السلوك، وهو الخير والبر فى الأعمال..

قال تعالى ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ النحل الآيات ٨٩، ٩٠.

هذه هى دعوة الإسـلام، فمن أنكرها تاه فى بيداء الحياة، وتنازعته الأهواء، وعاش مشتت الفكر، ممزق الشعور، مهموما مخذولا..

قال تعالى ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾ الإسراء الآية ٢٢.

فالمشرك متهم فى عقله ولن يجد له من دون الله نصيرا..

وقـال جـل شـأنه ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَـٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الزمر الآية ٢٩.

فالمشرك تتفرق به السبل، وينتابه القلق ويعتصر قلبه الهم والغم..

أما المؤمن فهو مستجمع الفكر، مطمئن النفس، منشرح الصدر، واثق الخطى..

وإنما وصـف القرآن هنا المنكرين لنبوة سـيدنا محمد ﷺ، المكذبين برسالة الإسلام بأنهم لا يؤمنون بالآخرة.. لأن الإيمان بالآخرة لا ينفك عن الإيمان بالله، فمن أيقن بجلال الله وكماله أيقن بقدرته سبحانه على البعث والحساب والجزاء..

فإذا جاء إنسـان وأنكر الآخرة وما فيهـا فقد أنكر وجود الله وجحد ربوبيته وألوهيته..

فهـؤلاء الذيـن لا يؤمنون بالآخـرة منحرفون عن جـادة الطريق، تتقاذفهم سـبل شـتى، ويقفون حيارى أمام طرق متعددة، لا تصل بهم إلى النجاة ولا تحقق لهم الهدف السامى من الحياة..

التمادى فى الطغيان

قال الله تعالى ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٧٥.

اقتضت سنة الله تعالى أن يقف الحق أمام الباطل وجها لوجه فى مدافعة دائمة إلى يوم القيامة..

وكتب الله الغلبة لرسله وأوليائه، وحقت كلمة العذاب على الكافرين حالا أو مآلا..

ومكمن الخطر هو العناد الذى يسيطر على النفوس الكافرة، فلا يدع لها شعاع أمل، ولا يفتح عليها باب تأمل، ويتركها دائما فى غيبة عن الذات، وغفلة عن الحق، وبعد عن الوعى..

فهؤلاء المكذبون برسالة سيدنا محمد ﷺ قد لزمتهم الحجة وقام عليهم البرهان، ومع ذلك رفضوا الإيمان فأخذهم الله بذنوبهم فى الدنيا قحطا وبلاء ومصيبة، وسيأخذهم فى الآخرة نكالا وعذابا وهوانا..

وفى كلا الحالين يظل العناد مسيطرا عليهم، ويظل الكبر مانعا لهم من قبول الحق، وقد أكد القرآن سيطرة العناد على هؤلاء، وإغلاقه لمنافذ الوعى والعقل لديهم حين قال فى سورة الأنعام:

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ الأنعام الآية ٢٧.

فهؤلاء عاينوا العذاب وأشرفوا على الهلاك ووقفوا على النار، وتمنوا الرجعة إلى الدنيا ليتداركوا ما فاتهم وليصححوا أخطاءهم وليؤمنوا بما كذبوا به من قبل..

ومع ذلك تشتد وطأة العناد على قلوبهم وعقولهم فلا يؤمنون، قال تعالى ﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الأنعام الآية ٢٨.

إن الإنسان فى حياته يمر بمنح ومحن، والعاقل هو الذى يشكر عند الرخاء ويتضرع عند البلاء، ويعرف فضل الله عليه فى الموقفين..

فالرخاء والبلاء موقفان للفتنة، وليس أحدهما بأولى من الآخر فى حياة الإنسان على هذه الأرض.. قال تعالى ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ الأنبياء الآية ٣٥.

وحياة المرء لا تنفك عنهما، لكن الإنسان عجول، تطغيه النعمة وتنسيه النقمة، فيفرح أطرا بالخير ويجزع كمدا بالشر..

والإيمان بالله والاستعانة بالصبر والصلاة هو سبيل النجاة والفوز فى الدنيا والآخرة.. قال تعالى ﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ المعارج الآيات من ١٩ – ٢٢.

الوقائع تتكلم

قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ المؤمنون الآيات ٧٦ - ٧٧.

حكم القرآن فى الآية السابقة بتمادى المكذبين فى طغيانهم مع حلول النكبات بهم ومصائب الزمن عليهم..

وهنا يقدم الدليل من واقع حياتهم وما نزل بهم.. لقد أخذ الله قريشا بعذاب بئيس، فأصابهم القحط والجدب، ومنع عنهم القطر، وتقطعت علاقاتهم الاقتصادية بأهل اليمامة عندما أسلم ثمامة بن آثال وقال لأهل مكة: والذى نفسى ثمامة بيده لا تأتيكم حبة من اليمامة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ، فجهدت قريش وكتبوا إلى رسول الله يسألونه بأرحامهم إلا كتب إلى ثمامة يخلى لهم حمل الطعام، ففعل ذلك رسول الله ﷺ..

وأخرج البخارى بسنده عن ابن مسعود قال: إن قريشا لما استعصوا على النبى ﷺ دعا عليهم بسنين كسنى يوسف، فأصابهم قحط حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد فأنزل الله ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ

بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾ الدخان الآية ١٠، فأُتي رسول الله ﷺ فقيل: يا رسول الله استسق الله لمضر فإنها قد هلكت، فاستقى فسقوا فنزلت. فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم فأنزل الله ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ الدخان الآية ١٦ ، يعني يوم بدر..

فلم يفلح هذا العذاب العاجل في حملهم على الانصياع للحق والانقياد للوحي المحمدي على رغم وضوح الحجة وقطعية الرهان.. فماذا ينتظرون؟!.

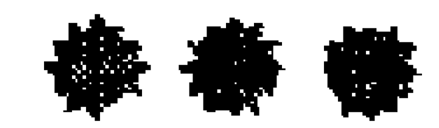
لقد توعدهم الله بعذاب شديد في الدنيا قبل الآخرة يجعلهم مبلسين آيسين من كل خير، متحسرين بلا أمل..

وهذا العذاب الشديد هو ما أصابهم يوم بدر، حين قتل سبعون من أئمة الكفر، على رأسهم أبو جهل، وأسر سبعون آخرون، وما من أهل بيت في مكة إلا حلت بهم مصيبة..

وتوالت عليهم هزائم منكرة انتهت بفتح مكة ودخول الناس في دين الله أفواجا..

والعذاب الشديد في الآخرة لمن مات على الكفر هو عذاب النار وبئس المصير.. قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَـٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ الروم الآيات من ١٢ – ١٤.

إن الإبلاس هو اليأس والقنوط، وهؤلاء قد يئسوا من الثواب والنعيم، ولـن ينقطع عنهـم العذاب في الجحيـم.. قال تعـالى ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ الزخرف الآيات ٧٤، ٧٥.



(ب) حوار حول العقيدة الإسلامية

- وسائل المعرفة
- غاية الخلق
- الحياة والموت
- تقليد وجهل
- دلائل أرضية
- دلائل سماوية
- دلائل التدبير الإلهى
- تكذيب للحق
- دلائل الوحدانية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ
(٧٨) وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٧٩) وَهُوَ ٱلَّذِى
يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَـٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٨٠)
بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ (٨١) قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا
تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٨٢) لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَـٰذَا
مِن قَبْلُ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ (٨٣) قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ
وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ
ٱلْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ
مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ
تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ (٨٩) بَلْ أَتَيْنَـٰهُم
بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ (٩٠) مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ
مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ
سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَتَعَـٰلَىٰ
عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢) ﴾ **المؤمنون الآيات من ٧٨ – ٩٢.**

وسائل المعرفة

قال الله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٧٨.

تبين هذه الآية عطاء الله للإنسان فى مجال العلم والمعرفة، لقد منح الله الإنسان سمعا وبصرا وفؤادا، فهذه وسائل المعرفة الحسية والعقلية..

والسمع فى البيان القرآنى مقدم إيجابا وسلبا، وعندما سلب الله عن المنافقين والكافرين انتفاعهم بوسائل المعرفة قدم السمع فقال ﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ البقرة الآية ١٧١.

وحين يقف الكافرون موقف الندامة يوم القيامة يتحسرون على عدم انتفاعهم بوسائل المعرفة فيقدمون السمع ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾ الملك الآية ١٠.

ثم إن السمع فى الإنسان أسبق وجودا، فالطفل يسمع قبل أن يرى، والسمع يستوعب الجهات كلها أما البصر فمحدود بجهة الأمام وبشروط معينة..

والإنسان يسمع من مسافة أكبر من مسافة الرؤية..

والإنسان يسمع فى أوقات الظلمة وأماكنها التى تزيد على أوقات النور وأماكنه..

ومن جهة أخرى فإن السمع مقدم في باب الأسماء الحسنى لله تعالى كما في قوله جل شأنه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة الآية ١٨١، وقوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ الحج الآية ٧٥.

والأنبياء سمعوا كلام الله دون أن يروا ذاته العلية، قال سبحانه ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ الشورى الآية ٥١.

والإنسان السوى هو الذى ينتفع بنعم الله انتفاعا صحيحا ويشكر المنعم سبحانه بالإقرار بربوبيته وألوهيته والولاء لمنهجه وشريعته، لكن هذا الصنف من البشر الذين عقلوا وآمنوا قليلون، أما الكثرة الكاثرة فلم ينتفعوا بوسائل المعرفة الانتفاع الذى يصل بهم إلى الحق فى الاعتقاد، والخير فى السلوك، وبالتالى فقد ضاعت عليهم الفرصة وفقدوا أثمن ما فى الوجود وأعز ما فى الحياة ﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ الأحقاف الآية ٢٦.

* * *

غاية الخلق

قال الله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٧٩.

خلق الله الإنسان فردا واحدا هو آدم عليه السلام ثم خلق منه زوجه حواء، ثم تكاثرت الذرية وانتشرت، وتباعدت الأماكن واختلفت، وتعددت الألوان واللغات وتنوعت.. قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ الحجرات الآية ١٣.

وتوالت البشرية جيلا بعد جيل، تواصل مسيرة الحياة، وقد هيأ الله لها كل الأسباب، وذلل لها كل الصعاب، ومهد لها كل شيء..

وكانت الأرض مستقرا ومستودعا، يقيم الإنسان على ظهرها في حياته، ويدفن في باطنها بعد مماته..

لكن هل تنتهي قصة الإنسان بالقبر؟!.

إن الموعد الله، ولن تكون الحياة عبثا، وإنما الغاية الكبرى هي البعث والحساب والجزاء، وهذا ما يحتم على الإنسان الولاء لله ورسوله، والحفاظ على منهج الوحي الإلهي، والالتزام الأمين بشرائع التنزيل..

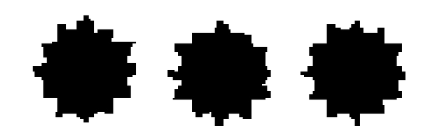
والحشــر إلى الله لا يعنى الحشــر إلى مكان يحــدد ذات الله ويحوى حقيقته القدسية، فالحياة مع الله والممات إلى الله، وكل شىء بالله ولله..

وإنمــا المراد بالحشــر إلى الله البعث يوم القيامة حيــث ينفرد المولى ســبحانه بالملك باطنا وظاهرا، ويقف ملوك الدنيا وسلاطين هذه الحياة مواقف العبيد أمام ملك الملوك الذى ينادى ويقول: لمن الملك اليوم؟

يأتى الجواب من كل جانب «لله الواحد القهار».

وقد أخرج مسلم فى صحيحه أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: يطوى الله عز وجل السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك.. أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟

وفى رواية أن أبا هريرة ﷺ كان يقول: قال رسول الله ﷺ يقبض الله تبــارك وتعالى الأرض يوم القيامة ويطوى الســماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك.. أين ملوك الأرض؟!!



الحياة والموت

قال الله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٨٠.

من خصائص الربوبية أن الله وحده يمنح الحياة لمن يشاء، ويمنعها عمن يشاء، وحدد لكل كائن أجلا مسمى، لا يستقدمه ولا يستأخره..

ولا ينازع في ذلك إلا مكابر يخدع نفسه ويمتهنها..

وهناك آية من آيات الله تشبه الحياة والموت، إنها آية الليل والنهار، فالليل يشبه الموت بظلمته، والنهار يشبه الحياة بحركتها.. وهما متعاقبان لمصلحة الإنسان، ويتوارد عليهما النقص والزيادة لمنفعة الحياة، قال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ ﴾ الإسراء الآية ١٢.

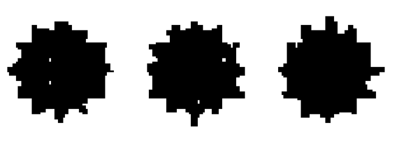
وعندما حاج الملك الطاغية وجادل إبراهيم الخليل في ربه، وجرى بينهما حوار عام حول دلائل الربوبية، قدم إبراهيم عليه السلام الحياة والموت ثم عقب بالشمس التي ترتبط بالليل والنهار، قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى

بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ البقرة الآية ٢٥٨.

لقــد قدم الطاغية صورة باهتة فأتى برجلين محكوم عليهما بالإعدام فعفى عن أحدهما وأعــدم الآخر، وظن كاذبا أن ذلك خلق للحياة وخلق للمــوت، وكان الحوار أمــام الجماهير الغوغاء التى لا تحســن التأمل فانتقل إبراهيم عليه السلام بســرعة إلى موقف آخر صريح وأمره بتغيير نظام الكون وتبديل ســننه؛ فبهت الذى كفــر وانقطعت حجته وغاب وعيه لأنه لا يستطيع الادعاء بأن له تصريفا فى الكون فقد كانت الشمس قبل أن يولــد هذا الطاغية، ثم أين هو الآن؟ ولماذا لم يحتفظ لنفســه بالحياة ويمنعها الموت ويكتب لها الخلود؟

ما أكذب المستكبرين فى الأرض وما أظلمهم! !

إننا فى حاجة إلى نظرة تأمل وتعقل كى نصحح العقيدة ونستقيم على الخلق ونسعى إلى الخير، وبذلك نسعد فى الدنيا والآخرة.



تقليد وجهل

قال الله تعالى ﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ (٨١) قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٨٢) لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٨٣) ﴾ المؤمنون الآيات من ٨١ – ٨٣.

قامت دعوة الأنبياء جميعا على تأكيد عودة الناس بعد الموت، وحسابهم بعد البعث، وجزائهم بالجنة أو النار فى دار الخلود الأبدى..

وعلى ذلك قامت دعوة سيدنا محمد ﷺ، فوعد وأوعد، وبشر وأنذر، وبرهن ودلل على البعث والحساب والجزاء..

لكن المشركين رفضوا الإيمان بقضية البعث تقليدا وجهلا، فرددوا مقالة السابقين: أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون، واستبعدوا الإعادة بعد أن يصيروا ترابا وعظاما، وتناسوا أن الإعادة أهون من الخلق، وأنهم مروا فى النشأة الأولى بمراحل النطفة والعلقة والمضغة والعظام، ومع ذلك صاروا بشرا عقلاء يملأون الدنيا صياحا وصراخا وجدلا..

ثم إن هؤلاء الرافضين للإعادة المنكرين للبعث ظنوا جهلا أن الإعادة تكون فى هذه الدنيا وهم لم يشاهدوا ميتا خرج من قبره، ووصفوا مقالة الأنبياء حول البعث والجزاء بالخرافة وأنها ترديد لأساطير الأولين..

فالأساطير جمع أسطورة، وهى الشيء لا حقيقة له..

ألا ما أجهل هؤلاء المنكرين- وما أضل تفكيرهم..!!

لقد جاء أحدهم إلى الرسول ﷺ ومعه عظم إنسان ميت ففتته وذراه فى الهواء وقال: يا محمد أترى أن الله يحيى هذه؟

فقال عليه الصلاة والسلام: نعم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك النار ونزل قوله تعالى ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ يس الآيات من ٧٨ - ٨٣.

إن الإعجاز الخلقى فى الإنسان يفوق كل تصور، والقادر على هذا الخلق قادر على إعادته، وإذا كان الشيء يخرج من ضده، فالنار تخرج من الشجر الأخضر فمن باب أولى يخرج الشيء من ذاته ويعود الإنسان بعد أن يصير عظاما ورفاتا، والذى أبدع الأعظم من السماء والأرض.. يستطيع أن يبعث الإنسان ذلك المخلوق الضعيف..

قال تعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ غافر الآية ٥٧.

دلائل أرضية

قال الله تعالى ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ المؤمنـــون الآيات من ٨٤، ٨٥.

تســوق الآيات هنــا دلائل القدرة الإلهية المبدعة، كي يقر الإنســان بوحدة الخالق واســتحقاقه للعبــادة، وتفرده بالســلطان وقدرته على البعث والحساب..

وتساءلت مع هؤلاء المشركين المنكرين للبعث: ﴿ لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ لقد اهتم القرآن كثيرا بالأرض ومــن عليها وما تحوى من آيــات باهرات، فتحدث عــن مائها ملحة وعذبة، وذكر بما فيه من نعم شــتى وثــروات معدنية وحيوانية فقال ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ فاطر الآية ١٢.

وتحــدث القرآن عــن نبــات الأرض واختلاف أشــكاله وأحجامه وطعومه وروائحه فقال ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ

مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ الرعد الآية ٤.

وتحدث القرآن عن جبال الأرض وشموخها وطبقات الأرض وعجائبها فقال ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ النحل الآيات ٥ – ٨.

وهكذا تدعونا هذه الآيات إلى التأمل في تلك القدرة الإلهية المبدعة التي أتقنت كل شيء وأحكمته إحكاما..

فهل هناك أحد غير الله يدعي هيمنةً على الأرض وتصريفا لشئونها وإبداعا لكائناتها؟

﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ النمل الآية ٦١.

إن المنطق الصادق والجواب الصحيح أن الله وحده هو المالك الخالق المهيمن، والإنسان يقر بهذه الحقيقة كرها وطوعا، ويؤكدها حالا فعالا، ويرددها صمتا وصوتا، ويعقلها فكرا ووعيا ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٨٥.

دلائل سماوية

قال الله تعالى ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ المؤمنون الآيتان ٨٦، ٨٧.

تواصل الآيات عرضها لدلائل القدرة الإلهية فتتساءل مع المشركين عن السموات السبع والعرش العظيم، من المهيمن والمدبر والمبدع والخلاق العظيم؟!

إن آيات الآفاق أكثر من أن تحصى وتعد، ولقد لفت القرآن أنظار البشر إلى نواميس كونية وأجرام فلكية وحقائق عليا تدفع الإنسان دفعا إلى التوحيد الخالص لله رب العالمين، والإقرار بالبعث والحساب والجزاء..

فتحدث القرآن عن بناء السماء وضخامتها وشموخها وكواكبها ونجومها فقال ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ ﴾ النازعات الآية ٢٧ - ٢٩.

وتحدث القرآن عن تعدد السموات وامتدادها واتساع أرجائها وارتباطها بالأرض وتفاعلها معها فقال: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ الطلاق الآية ١٢

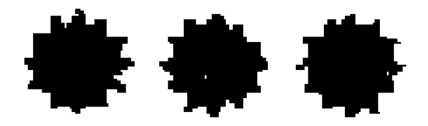
وتحدث القرآن عن ظواهر فلكية كالرعد والبرق والسحاب والمطر.

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾ الرعد الآيات ١٢- ١٣.

أما العرش فللعلماء فيه رأيان: أحدهما أنه البناء المستوى الخالى من العيوب البالغ حد الروعة فى الكواكب والنجوم والشجر والدواب فهذا هو المشاهد الذى يدخل فى باب الدلالة على جلال الله وكماله، فإن كل بناء يسمى عرشا كما فى قوله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ النحل الآية ٦٨.

الثانى أنه مخلوق أعظم من السموات والأرض لا يخضع للإدراك البشرى فهو أمر سمعى، ويستدل على هذا المعنى بمثل قوله تعالى ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ ﴾ الزمر الآية ٧٥، وقوله صلى الله عليه وسلم «الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله».

وأيا ما كان فإن المراد هو الدلالة على عظم القدرة الإلهية وجلالة السلطان الإلهى وأنه سبحانه أهل التقوى وأهل المغفرة..



دلائل التدبير الإلهى

قال الله تعالى ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ المؤمنون الآيات ٨٨، ٨٩.

خلق الله الكون ودبر شئونه، وأبدع الكائنات وألهمها مسيرة حياتها..

والملكوت هو الملك على سبيل المبالغة، فهو أعم منه وأوسع، ويشمل ما يرى وما لا يرى..

وتدبير الله متواصل لا ينقطع، وخلق الله متجدد لا يتوقف ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ الرحمن الآية ٢٩، وتتنزل الآية التى معنا من فسيح الكون وعلياء الملكوت لتمس حقيقة إنسانية لا يكاد ينفك عنها بشر، وهى أن الله تعالى يجير ولا يجار عليه، أى أن الله تعالى يغيث المستغيثين ويجيب المضطرين ويلبى دعاء المتوسلين ويمنح السائلين وتتواصل رحمته على عباده أجمعين..

وإذا أراد الله بقوم سوءًا فلا مرد له، وما لهم من دونه من وال، ولا يملكون شفاعة، ولا يستطيعون صرفا ولا نصرا..

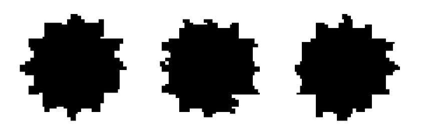
قال تعالى ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ فاطر الآية ٢.

وإذا كان الجواب الصحيح لكل التساؤلات التى طرحتها الآيات هو إضافتها إلى الله وحده فكيف ينساه المرء أو يغفل عنه؟ ولماذا لا يتخذ وسيلة قربى إلى الله، ووقاية من عذابه؟ ولماذا ترك نفسه فريسة للهوى والشيطان يخدعه عن الصراط المستقيم؟!

وقد جاء قوله تعالى ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ عقب آيات الأرض، وقوله تعالى ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ عقب آيات السماء، وقوله تعالى ﴿ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ عقب آيات التدبير، لحكمة بالغة، فالأرض أقرب إلى التذكير، والسموات أبلغ فى التقوى، وتأمل التدبير الإلهى أقوى فى التغلب على السحر والخداع..

فالإنسان يعيش على الأرض ويمسى ويصبح فى أحضانها فينبغى أن يتذكر وحدانية الله فى الخلق وقدرته على البعث، ثم إن السموات أكبر من خلق الناس وأعظم من كل ما حوله فهى أبلغ فى دفع الإنسان لاتخاذ الوقاية وإعداد النفس للطاعة والاستقامة، ثم إن للمرء فى التدبير الإلهى لذات نفسه والكائنات حوله لأمرا عجبا يمنحه أقوى الحجج والبراهين على الوحدانية والبعث فلا يستطيع أحد أن يخدعه عن هذه الحقيقة الواضحة..

﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ الأنعام الآية ٩١.



تكذيب للحق

قال الله تعالى ﴿ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٩٠.

لقد جاء سيدنا محمد ﷺ بالحق وصدق المرسلين، وناصر الفضيلة ودعا إلى الخير.. أما المشركون فهم كاذبون مكذبون، إنهم حين يرفضون الوحي المحمدى لا ينتصرون لحق ولا يدافعون عن قيم ولا يسلكون مسالك الرشاد..

إنهم كاذبون فى كل دعوى يتقولونها حول الرسالة والرسول..

لقد كذبوا حين قالوا:

﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾ ص الآية ٥.

وحين قالوا:

﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ الزمر الآية ٣.

ولقد كذبوا حين ادعوا:

﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾ النحل الآية ١٠٣.

﴿ إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ﴾ الفرقان الآية ٤.

﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾ الأسراء الآية ٤٧.

لقد كذبوا حين زعموا:

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ الجاثية الآية ٢٤.

﴿ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٤٩) ﴾ الإسراء الآية ٤٩.

والكذب هو شر ما يبتلى به الإنسان، وهو يمتد ليشمل العقائد والسلوك..

والكذب قبيح غاية القبح لأنه رفض للحق وتمرد على الصدق وانحراف عن الحسنى..

قال تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ (٦٨) ﴾ العنكبوت الآية ٦٨.

وقال جل شأنه ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ (٣٢) ﴾ الزمر الآية ٣٢.

فعاقبة تكذيب الحق ورد الصدق هي أسوأ العواقب في الدنيا والآخرة، وحسب الكاذب جهنم يلتقي فيها مع كل من ستر الحق، يصلاها مذموما مدحورا..

وقد توعد الله الكاذبين بالعسر في حياتهم كلها، فلا يفتحون بابا إلا ويغلق، ولا يلجأون إلى طريق إلا ويسد، ولا يبدون عملا إلا ويتوقف، ولا يفكرون إلا وتتشتت بهم الأهواء ولا يفلحون أبدا.. قال تعالى ﴿ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ (١١) ﴾ الليل الآيات من ٨ – ١١.

دلائل الوحدانية

قال الله تعالى ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢) ﴾ المؤمنون الآيات ٩١، ٩٢.

الكون كله والملكوت بأجمعه صنع الله وحده، وتدبير إله واحد حكيم مبدع، له القدرة المطلقة والسلطان القاهر والحكمة البالغة.. وإذا ساءلنا الباحثين في علوم الطبيعة والفلك والأحياء على تعددها وتنوعها، عن النواميس الكونية لأكدوا بلسان اليقين الكامل أنها في دقة دقيقة وعلى نظام بديع وبضوابط يعجز العقل البشرى عن الإحاطة بها..

وصدق الله حيث يقول: ﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾ الملك الآية ٣.

فوجود الخلق دليل على وجود الخالق، واستقامة الخلق دليل على وحدة الخالق، لكن الناس انحرف بهم الهوى فاتخذوا لله أندادا، واخترعوا له أولادا، وما قدروا الله حق قدره حين قالوا بالحلول أو الاتحاد أو التشبيه أو غير ذلك مما يتنافى مع الجلال والكمال والجمال الإلهي..

إن اتخاذ الولد نقص، وإن تعدد الآلهة عجز، وإن إنكار الألوهية ضلال مبين..

لقد ساقت الآية هنا دليلا فطريا بدهيا حين قالت ﴿ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) ﴾.

إن ملوك الدنيا في تنازع دائم وشقاق مستمر، والتاريخ الإنساني تاريخ حروب وزعامات ترتفع وتهوى، وملوك يعزون ويذلون، وحضارات سادت ثم بادت، ودول قامت ثم سقطت.. وهكذا دواليك..

ثم نبهت الآية إلى جانب مهم يؤكد الفارق بين الإله الحق وبين الآلهة المزعومة، فالغيب كله لله، غيب الماضي والحاضر والمستقبل، ولا تتكامل المعرفة لبشر ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦) ﴾ يوسف الآية ٧٦، فمن يتطاول إلى مشاركة الله في ملكه، أو إلى مشابهة الله في صفاته، أو إلى منازعة الله في سلطانه؟!

ويوم ادَّعى فرعون أنه الرب الأعلى سقط غريقا بلا منقذ، ثم لفظه البحر ببدنه ليكون عبرة للأولين والآخرين، وحين ادعى النمرود أنه يحيي ويميت كذب على نفسه قبل أن يكذب على غيره، وإلا فأين هو الآن؟! والذين يزعمون معرفة الغيب بالسحر والكهانة والتنجيم يخدعون أنفسهم أولا، فهم أشقى الناس ولا يدفعون عن أنفسهم مرضا ولا فقرا ولا موتا..

﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٦٥) ﴾ النمل الآية ٦٥.

(جـ) العاقبة للمؤمنين

- الحكم لله وحده
- أدب الدعوة
- همزات الشياطين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾ المؤمنون الآيات من ٩٣ – ٩٨.

الحكم لله وحده

قال الله تعالى ﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ المؤمنون الآيات من ٩٣ - ٩٥.

جرت سنة الله مع أنبيائه أن تكون العاقبة لهم وأن ينصرهم على عدوهم، كما قال جل شأنه، «﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ الصافات الآيات من ١٧١ - ١٧٣، وسيدنا محمد ﷺ على شاكلة إخوانه من النبيين والمرسلين، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد فى الله حق جهاده، فآمن به من آمن وكفر به من كفر..

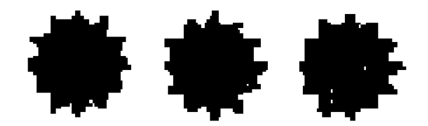
فإذا طال عناد المكذبين واستمرأوا الاستهزاء بالحق فماذا ينتظرون؟ إن بأس الله الذى لا يرد عن القوم المجرمين لابد أن يحيق بهم، وقد يمتد العذاب إلى من ركن إليهم ومالأهم وسكت على غيهم..

ولهذا علم القرآن المجيد الرسول ﷺ أن يستشعر دائما مقام العبودية الضارعة أمام الله عز وجل فقال ﴿ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٩٤.

وهذا فى الحقيقة تعليم لنا وتوجيه، فإذا كان الرسول وهو المعصوم وصاحب الدعوة والمنصور بالله يطالب بأن يدعو الله أن يباعد بينه وبين القوم الظالمين وأن يستعين بالله على ذلك فنحن- المعترفين بالذنب المقصرين فى الطاعة - أولى وأحق..

والآية هنا تهديد بليغ للمكذبين فإن وقوع العذاب عليهم أقرب من لمح البصر، فقد يأخذهم الله بياتا وهم نائمون أو يأخذهم صخى وهم فى أنديتهم ساهون، أو يفاجئهم العذاب وتتوالى عليهم المصائب من حيث لا يشعرون، والله تعالى لا يعجل بعجلة أحد، وقد جعل لمهلكهم موعدا لا ترده قوة ولا تمنعه شفاعة ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾.

لقد أخذ الله قريشا بسنين كسنى يوسف قحطا وجدبا وبلاء حتى أكلوا العظم والشجر، وهزمهم هزيمة منكرة فى بدر الكبرى، ورد الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا فى غزوة الأحزاب، وفتح الله لرسوله فتحا مبينا ودخل المسجد الحرام بأصحابه محلقين ومقصرين لا يخافون عام عمرة القضاء، ثم جاء نصر الله ودخل الناس فى دين الله أفواجا وحطم الرسول أصنام قريش فى العام الثامن للهجرة وارتفع من فوق ظهر الكعبة نداء الحق وانتشر نور الله فى الآفاق..



أدب الدعوة

قال الله تعالى ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٩٦.

تأمر الآية الكريمة رسول الله ﷺ أن يصبر ويصابر في سبيل الدعوة إلى الله، فيتعامل مع أعدائه بالحسنى التي تعني احتمال الأذى، وبيان الدليل، وملاحظة الحديث ما لم يؤد ذلك إلى نقص دين أو ضياع حق أو انتهاك حرمة..

إن التعامل بالحسنى يدفع العدو العاقل إلى التأمل والتريث وفطام النفس عن مواصلة الأذى، ومراودتها عن الإيمان..

وقد جاء هذا المعنى مؤكدا ومكررا في القرآن المجيد في عهديه المكي والمدني، وسمي بالهجر الجميل والصفح الجميل والجدال بالتي هي أحسن والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

قال تعالى ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ ﴾ المزمل الآية ١٠، أي لا عتاب فيه.

وقال جل شأنه ﴿ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾ الحجر الآية ٨٥، وهو تجاوز الذنب والإحسان إلى المسيء. وقال سبحانه

﴿ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ العنكبوت الآية ٤٦، أى بالرفق واللين وحسن الخطاب.

وقال عز اسمه ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ النحل الآية ١٢٥، والحكمة هى إصابة الحق وفعل الخير..

والمسلم مطالب بالدفع بالتى هى أحسن فى الدعوة والسلوك والمعاملة، وذلك بأن يعفو عمن ظلمه وأن يصل من قطعه وأن يعطى من حرمه وأن يحسن إلى من أساء إليه، فالأخلاق هى ثمرة العبادات كلها، وفى حديث رواه الترمذى قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا».

وفى الصحيح أن النبى ﷺ قال: «إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله» وفى رواية «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف وما لا يعطى على سواه» وفى رواية «إن الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه ولا ينزع من شىء إلا شانه».

ولا يعنى ذلك أن المسلم يرضى بالهوان، ويقيم على الضيم، ويضيع حقوقه بل إن المسلم حكيم يعرف متى يحمل السيف ومتى تنفع الكلمة، ويعرف متى يصول ويجول ومتى يناقش ويجادل، ويعرف متى يغضب ويثور ومتى يلين ويرحم.. فلكل مقام مقال ولكل حادثة حديث، ولكل حال ما يناسبها..

همزات الشياطين

قال الله تعالى ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾ المؤمنون الآيات من ٩٧، ٩٨.

إن الشـيطان متربص ببنى آدم، يثير بينهم الفتنة، ويدفع بهم إلى العدوان، ويصرفهم عن الحق ويدعوهم إلى الفحشاء والمنكر والبغى..

والهمزات جمـع الهمزة وهى الدفـع والتحريك بشـدة، وهمزات الشياطين تكون بإحدى وسيلتين:

١ - الوسـوسة بأن ينفث فى روع الإنسان المؤمن عوامل الغضب ويبث فيه الرغبة فى الانتقام، ويدفعه إلى عنف القول والسلوك.

وهذه الوسيلة الشيطانية يمكن التغلب عليها بذكر الله والوضوء والثقة فى نصر الله والطمـع فى ثوابه تحقيقا لقوله تعالى ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ آل عمران الآية ١٣٤.

٢ - دفـع الأعـداء إلى مواصلة الاعتداء وتزيـين القبيح من أعمالهم التى تسىء إلى الآخرين كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ مريـم الآية ٨٣، أى تغريهم بالمعصية وتدفعهم إلى إيذاء المسلمين..

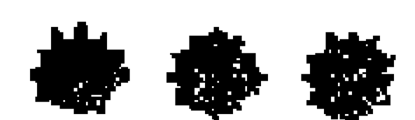
ويمكن التغلب على هذه الوسيلة الشيطانية بمدارة الأعداء وملاطفتهم بما لا يقدح فى الدين أو إعداد العدة لمقاومتهم وجهادهم بالنفس والنفيس..

وفي كلا الحالين فالمسلم مطالب بالاستعاذة بالله من همزات الشياطين فى حياته كلها، وقد جاء الأمر بالاستعاذة عند قراءة القرآن فقال تعالى ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ النحل الآية ٩٨.

وإذا دخل المسلم المسجد قال «أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم» روى ذلك أبو داود.

وإذا أوى المسلم إلى فراشه قال: «أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون» كما رواه أيضا أبو داود.

ويحصن المسلم أولاده بما حصن به النبى ﷺ الحسن والحسين فكان يقول: «أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة». كما رواه البخارى، بل إن المسلم مطالب عند معاشرة زوجه أن يقول: «باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا»، كما رواه البخارى.



المصير الإنسانى

- لحظة فاصلة
- النفخ فى الصور
- الحساب والعاقبة
- حوار وتقريع
- عاقبة صبر المؤمنين
- حسرات
- حكمة الخلق
- خاتمة السورة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ
أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن
وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ
أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتۡ
مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ
مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ
﴿١٠٣﴾ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمۡ
تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ
رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ
أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا
وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ
ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ
سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ﴿١١٠﴾
إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ
كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ

يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَـٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ المؤمنون الآيات من ٩٩ – ١١٨.

لحظة فاصلة

قال الله تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ المؤمنون الآيات ٩٩، ١٠٠.

خبر يسوقه المولى من وراء الغيب عبرة لأولى الألباب، إن الظالم والكافر والفاسق الذى يرتع فى الدنيا ويستخدم نعم الله فى معصية الله ويجاهر بمعصية الله ورسوله، ويعيث فى الأرض فسادا- يظل سادرا غافلا حتى تأتيه لحظة فاصلة لن يتقدمها أو يتأخر عنها، إنه الموت والانصراف من الدنيا والاقبال على الآخرة بحسابها وجزائها..

هنا يتذكر الإنسان ما سعى، لكنه تذكر لا قيمة له ولا جدوى منه فيقول الإنسان ﴿ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ ﴾.

إنه يسأل الرجعة إلى الدنيا ليعمل صالحا غير الذى كان يعمل من السيئات والفواحش.. ولم يسأل الرجعة لمآكل يشتهيها أو ملابس يقتنيها أو قصور يعيش فيها..

وتلك أمنية خاسرة لأنها جاءت فى غير موعدها وبلا أسباب تقوم عليها وقد فقدت كل معنى يمكن أن يساهم فى تحقيقها..

لقد منح الله الإنســان أجلا فى الحياة الدنيا ويسر له أسباب الهداية وأمده بنعم لا تعد ولا تحصى وحذره من عداوة الشيطان ثم تغافل الإنسان عن كل ذلك وأعرض ونأى بجانبه، ولهذا استحق هذا الرد الزاجر وهذه الإجابــة الرادعــة ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ﴾ فهى مجرد كلمة لا مدلول لها، وقائلهــا كاذب فيما رتب عليها كما قال تعالى ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الأنعام الآية ٢٨.

وقد عبر القرآن عن هذه الكلمة بأكثر من أسلوب، فهى:

﴿ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ الأنعام الآية ٢٧.

﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ فاطـر الآية ٣٧.

﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ الأعراف الآية ٥٣.

﴿ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ الشورى الآية ٤٤.

وسـيظل هذا المنحرف عن الدين فى برزخ أى مرحلة متوسـطة بين الدنيا والآخرة هى مرحلــة عذاب القبر وظلمته، ليس معدودا من أهل الدنيــا ولا من أهل الآخــرة، فهو فى هذا الوعيد الشـديد حتى يخرج الناس من قبورهم يساقون إلى المحشر لفصل الخطاب.

***

النفخ فى الصور

قال الله تعالى ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ المؤمنون الآية ١٠١.

للعلماء أقوال فى النفخ فى الصور هى:

١ - النفخ ثلاث مرات، الأولى نفخة الفزع: وهى نفخة تورث الرعب الشديد ولكن الناس لا يموتون، كما قال تعالى ﴿ وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ النمل الآية ٨٧.

والنفخة الثانية نفخة الصعق وهو الموت، قال تعالى ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ الزمر الآية ٦٨.

والنفخة الثالثة هى نفخة القيام من القبور والبعث والنشور، قال تعالى ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ الزمر الآية ٦٨.

٢ - ومن العلماء من يرى أن النفخ مرتان هما نفخة الفزع أو الصعق فهذه واحدة ونفخة القيام وهذه هى الثانية، ففسر الفزع بالصعق.

وأيا ما كان فإن المراد بالنفخ فى الصور فى سورة المؤمنون هى النفخة الأخيرة يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين.

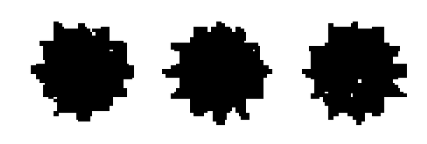
والصــور آلــة إذا نفخ فيها ظهــر الصوت ضخما عظيمــا فهى تكبر الصوت وقيــل: الصور جمع صورة والمراد النفخ فــى الأرواح لتحل فى الأبدان للقيام للحساب والجزاء، أما النفخة الأولى فهى لتخرج الأرواح من الأبدان فيبيت الناس صرعى..

وعندما تقف الخلائق أمام الله الملك الحق المبين لا ينفعهم غير إيمانهم ولا يغنى عنهم مال ولا ولد، ولا ينتصرون بقوة أو عدة، وتسقط اعتبارات البشرية من الأنساب التى تشفع أو تجامل أو تحابى فالكل يفر من الكل، والجميــع يــود الفداء بالجميع قــال تعــالى ﴿ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ ﴾ المعارج الآيات ١١ – ١٤.

وقد وقف رسول الله ﷺ فى اليوم الأول للدعوة وقال– كما فى صحيح البخارى– يا معشر قريش اشتروا أنفسكم، لا أغنى عنكم من الله شيئا، يا بنى عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شــيئا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شــيئا، ويا صفية عمة رسول الله ﷺ، لا أغنى عنك من الله شــيئا، ويا فاطمة بنت محمد ســلينى ما شــئت من مالى لا أغنى عنك من الله شيئا.

وقولــه تعــالى ﴿ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ نفى لتســاؤل التراحم والتعاطــف كما قــال تعــالى ﴿ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ المعارج الآيــة ١٠، وإثبات للهول والشــدة والفزع كما قــال تعالى ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ

ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ عبس الآيات ٣٤ - ٣٧، وحيث إن يوم القيامة طويل وعسير وشاق ففيه مواقف يتعارفون في بعضها، ويتساءلون في بعضها ويتحيرون في بعضها.



الحساب والعاقبة

قال الله تعالى ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ المؤمنون الآيات من ١٠٢ – ١٠٤.

إذا قام الناس من قبورهم وسيقوا إلى المحشر، وتجمع الأولون والآخرون قضى الله بينهم بالحق والعدل فيصير الناس فريقين فريقا في الجنة وفريقا في السعير..

وثقل الميزان وخفته له عدة معان:

إنه كناية عن العدل المطلق الذى يلقاه الإنسان يوم الحساب أو أن ثقل الميزان يعنى عظم الأعمال الصالحة عند الله وثوابها الجزيل، وخفة الميزان تعنى قبح الأعمال السيئة والعقاب المترتب عليها..

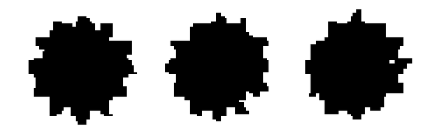
وقيل: إن الميزان حقيقة شرعية ووردت تساؤلات بشأنه: هل هو ميزان واحد لكل الأعمال ولجميع البشر؟ أو لكل فرد موازين؟ وهل الموزون هو العامل أو نفس العمل أو جزاء العمل أو صحف الأعمال؟.

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: «سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم».

وفي صحيح البخاري أيضا قال رسول الله ﷺ: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة» وقال: اقرأوا ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ الكهف الآية ١٠٥.

فمن رجحت حسناته فهو المفلح الفائز ومن خفت حسناته وزادت سيئاته فهو المفلس الخاسر..

وركزت الآيات هنا على جانب الخاسرين بيانا لعقابهم وتذكيرا بقبائحهم وإعلانا لسوء موقفهم من دعوة الحق ودعاته، فذكرت ألوانا من العقاب، فهم في جهنم خالدون لا تلحقهم رحمه الله، وتلفح وجوههم النار فلا كرامة لهم، وهم فيها كالحون، والكلوح أن تتقلص الشفتان وتتباعدا عن الأسنان، فهو تشويه للفم واللسان تلك الآلة التي كذبوا بها على الله وسخروا بها من عباد الله، وأنكروا بها البعث والحساب والجزاء.. فهم الآن يواجهون العاقبة السوء مواجهة لا خلاص منها ولا انقطاع لها، فالخلود في الجحيم هو العقاب العادل لكل كافر خاسر..



حوار وتقريع

قال الله تعالى ﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ المؤمنون الآيات من ١٠٥ – ١٠٨.

تقدم الآيات هنا أسباب العذاب الذى يلاحق الخاسرين الخالدين فى جهنم، وتسوق هذه الأسباب على جهة التقريع والتوبيخ والتأنيب، فهم يدركون حقيقة موقفهم..

لقد جاءتهم النذر من بين أيديهم ومن خلفهم، وقامت عليهم الحجة وظهرت لهم البينات والمعجزات فرفضوا دعوة الحق وأبَوْا الانقياد للوحى الإلهى وعاثوا فى الأرض فسادا..

وأمام هذه الحقيقة لم يجد هؤلاء الخاسرون إلا الاعتراف المهين واتهام النفس الذليل ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾.

والشقاوة والشقوة سوء العاقبة، والضلال هو الهلاك والضياع..

لقد اختاروا لأنفسهم هذه النهاية المهلكة بفساد اعتقادهم وانحراف سلوكهم وقبح أعمالهم ومواقفهم العدائية تجاه دعاة الحق وأنصاره..

وفى هذا اليوم العصيب الذى لا تقبل فيه شفاعة، ولا يؤخذ فداء، ولا تتبدل الأحكام يتناسى هؤلاء الضالون تلك الحقيقة فينطقون بكلمة لا جدوى منها ولا فائدة لها قائلين: ﴿ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾.

إنهم يريدون العودة إلى الدنيا للقيام بالتكليف الشرعي واتباع الأنبياء والاستقامة على الهدى، وتلك أماني كاذبة فات أوانها، ومضى وقتها..

ولهذا يجابون بما يتناسب مع غفلتهم وسوء تفكيرهم ﴿ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾.

والخسأ هو البعد والذل والطرد والإبعاد، وهى من الكلمات التى تقال للكلب وغيره.. وهذا ما يتناسب مع هؤلاء الضالين. إنهم فقدوا إنسانيتهم وضيعوا كرامتهم، وتنزلت بهم المهانة إلى تلك الدركة من الحيوانية..

﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ النحل الآية ٣٣.

***

عاقبة صبر المؤمنين

قال الله تعالى ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ المؤمنون الآيات من ١٠٩ – ١١١.

لا يزال التقريع مستمرا مع الخاسرين الذين خسروا أنفسهم فى الدنيا واستحقوا النكال فى الآخرة..

لقد كان من أسباب عذاب هؤلاء الخاسرين- استهزاؤهم بالمؤمنين والضحك من عبادتهم لله رب العالمين..

إن قضية المؤمنين فى كل زمان ومكان هى إصرارهم على عقيدة التوحيد، واعتزازهم بالولاء لله ورسوله، وطاعتهم لمنهج الوحى الصحيح طاعة لا تعرف ريبة ولا يعتريها تردد ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾، لكن الخاسرين على مدى العصور يأبَوْنَ إلا تدنيس الفطرة، والتمرد على الحق، والخروج على الاستقامة، وتمتد أيديهم وألسنتهم بالسوء على الطاهرين المؤمنين الصادقين..

وقد انشغل الخاسرون بهذا الإيذاء البدنى والنفسى للمؤمنين غرورا بقوتهم في لحظة من لحظات الزمن، وتناســوا حقيقة الحقائق وكبرى اليقينيات وهى ذكر الله الواحد الأحد ذى الجلال والإكرام..

ومــا كان الله ليضيع إيمان المؤمنــين ولا ليخذل الصادقين الصابرين، الذين تحملوا البأســاء والشدة فى سبيل عقيدتهم، فقد وعد الله- ووعده الحــق- أن ينصرهم فى الدنيا وأن يمنحهم الفوز الأوفى بالفردوس فى الآخرة قال الله تعالى ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ غافر الآية ٥١.

وهذا الفــوز للمؤمنين الصابرين يعلنه الله تعالى على الملأ من الأولين والآخرين يوم يقوم الناس لرب العالمين لتزداد الحســرة على الكافرين ويتضاعف الخزى والسوء على المستكبرين..

قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ غافر الآية ٦٠.

❋ ❋ ❋

حسرات

قال الله تعـالى ﴿ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾ المؤمنـون الآيات من ١١٢ - ١١٤.

يظل الخاسرون في حوار وسؤال تبكيت لهم وتقريع، لتتضح الحقيقة كاملة ويزدادوا هما وغما وكربا، ولتحيط بهم الحسرة من كل جانب..

فيقال لهم: كم لبثتم في الأرض عدد سنين؟

السؤال عن مدة إقامتهم في الدنيا أو مدة مكثهم في القبور..

فـإذا كان الأول مرادا فالمعنى أن هؤلاء الخاسـرين قد منحوا فرصة العمر وجاءهم النذير في إطار العقل الذي كرم الله به بني الإنسـان كما قال الله تعالى ﴿ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ ﴾ فاطر الآية ٣٧.

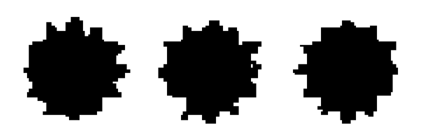
فيكـون السـؤال دافعا لهم إلى الاعـتراف بضلالهـم وانحرافهم وبعدهم عن الحق، وسفههم وضعف عقولهم لأنهم لم ينتفعوا بنعمة الحياة الدنيا..

وإذا كان الثانى مرادا فالمعنى أن هؤلاء الخاسرين قد عاجلهم عذاب القبر عقب موتهم وظلوا فيه أحقابا حتى قامت الساعة، ويكون السؤال بيانا لهم أن سابق عذابهم لا يساوى شيئا بما ينتظرهم من عذاب الخلود فى الجحيم..

وقد تناسى الخاسرون المدة سواء كانت عمرهم فى الدنيا أو عذابهم فى القبر، وغاب عقلهم عن استيعاب الموقف وأحالوا الجواب إلى من يستطيع الإحصاء ﴿ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلِ الْعَادِّينَ (١١٣) ﴾..

ويأتى الجواب الإلهى ﴿ قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٤) ﴾ ليؤكد لهم الحقيقة المرة، وهو أن مكثهم فى الدنيا أو عذابهم فى القبر ليس إلا قليلا لما ينتظرهم من حياة السرمد وعذاب الأبد..

ولو عقلوا هذه الحقيقة ما قالوا كلمة الكفر ولا فعلوا فعال الجاهلية ولا وقفوا موقف العداء والاستهزاء من أهل الحق..



حكمة الخلق

قال الله تعالى ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ المؤمنون الآيات ١١٥، ١١٦.

نقترب من ختام سورة المؤمنون كي تقرر الحقيقة الغائبة، وهي أن الإنسان لم يخلق عبثا ولن يترك سدى، وأن له موعدا لن يخلف مع الله رب العالمين..

فالإنسان تشغله ماديات الحياة، وتغريه مطالب الشهوة، ويخدعه الشيطان حتى ينسى حكمة خلقه وغاية وجوده.. فليس من المعقول أن يوجد الإنسان بما يحمله من عظائم الخلق وغرائب التدبير، وبما منح من مزايا، وما خص به من تكريم، ثم يكون ذلك الخالق عابثا لاهيا، لا يرتب الأسباب والمسببات ولا يدرى الحكم والغايات..

أو يكون ذلك الخلق للعبث واللهو فيمارس الإنسان حياته بلا مسئولية ويقضى عمره بلا تبعات..

كلا الأمرين: عبث الخالق أو عبث المخلوق مستحيل، فكل ما حوى الوجود ينطق بالحكمة، قال الله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا

بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ ﴾ ص الآية ٢٧.

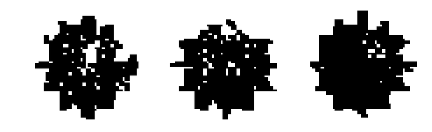
وقال جل شأنه ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾ القيامة الآية ٣٦.

فلابد- إذن- من رجعة إلى الخالق، رجعة فوق التصور، ولا تخضع لموازين البشر، فهى ليست رجوعا من مكان إلى مكان، يحتاج إلى مواصلات وقطع الفيافى والقفار، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا..

فالبعث حق، والذى أبدع الخلق الأول لا يعجزه أن يعيده ثانيا، بل الإعادة أهون فى نظر العقل والمنطق، قال تعالى ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ يس الآية ٧٩.

وقال جل شأنه ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ الروم الآية ٢٧.

إن الباعث هو الله الملك الحق الواحد الأحد رب الكون بأجمعه ومدبر أمر الكائنات كلها، فالملك هو المالك الحقيقى لا يبيد ملكه ولا يزول، والحق هو المستحق للجلال والكمال والجمال، وهو الثابت أزلا وأبدا، لا إله إلا هو فهو المعبود بحق لا معبود سواه..



خاتمة السورة

قال الله تعالى ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ المؤمنون الآيات ١١٧، ١١٨.

تأتى هذه الخاتمة لسورة المؤمنون تأكيدا لعقيدة التوحيد القائمة على العقل والنظر والمدعمة بالحجة والبرهان فإن الإيمان لابد أن ينشأ عن علم، قال تعالى ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ محمد الآية ١٩.

فالنواميس الكونية الثابتة والنظام البديع المحكم، واستقامة الخلق كل فى مسيرته- دليل وحدة الخالق.. قال تعالى ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ الأنبياء الآية ٢٢.

والذين يدعون إلها آخر ويتخذون لله أندادا- يتمردون على منطق العقل الصحيح وستكون عاقبة أمرهم خسرا، وحسابهم على الله، أى إن عقابهم بلغ من الشدة والقسوة والقوة ما لا يقدر عليه إلا الله، فهو وحده الذى يوفى الكافرين جزاءهم الذى يستحقونه هوانا وذلة وصغارا وشقوة أبدية..

وهنا مجموعة ملاحظات:

● قوله ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ﴾ بصيغة المضارع يفيد استمرار الشرك وامتداد الانحراف العقلى مع بقاء الإنسان، فلن تخلص

الدنيا للحق أو للباطل وستظل سنة المدافعة قائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

● قولـه ﴿ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ﴾ بيـان للواقع فليـس هناك إله آخر ببرهان، فدعوى الشـرك قائمة على التقليد الأعمى والانسياق المجرد والاستهزاء بالعقل..

● قوله ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ جاء فى ختام السورة الكريمة ليناسـب افتتاحها الذى أثبت الفلاح للمؤمنين فى قوله ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ﴾، فهمـا نقيضان فى الاعتقاد والجزاء، فالإيمان نقيض الكفر، والفلاح نقيض الخسران.

● جـاء الأمر بالدعـاء بالمغفرة والرحمة عقب اثبـات بطلان دعوى الشرك، وتحقق الجزاء المهين للمشركين، كما جاء الأمر نفسه فى سورة محمـد عقب الأمر بالعلم بتوحيـد الله عز وجل فى قوله تعالى ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ﴾ محمد الآيـة ١٩، فـكلا الموقفين يحتاج إلى لطف من الله وعون منه سـبحانه، فالإقـلاع عن الشـرك يحتاج إلى التمـاس مغفرة الله ورحمتـه، وعقيدة التوحيد تحتاج إلى تطهير مستمر والتجاء إلى مغفرة الله وعفوه..

***

الفهرس

الموضوع الصفحة

العدد القادم	رؤية علمية فى ألفاظ قرآنية د. أشرف صبحى

الاشتراكات

اشترك فى سلسلة اقرأ تضمن وصولها إليك بانتظام

الاشتراك السنوى :

- داخل جمهورية مصر العربية ٦٠ جنيهًا.
- الدول العربية واتحاد البريد العربى ٨٠ دولارًا أمريكيًا.
- الدول الأجنبية ٩٠ دولارًا أمريكيًا.

تسدد قيمة الاشتراكات مقدمًا نقدًا أو بشيكات بمجلة أكتوبر ١١١٩ كورنيش النيل - ماسبيرو - القاهرة

إن مسيرة الفكر البشرى لا تنفصل عن الوحى القرآنى. والصراع بين الحق والباطل، وبين الفضيلة والرذيلة، وبين الحضارة الإنسانية والتخلف البشرى هو النموذج لذلك اللقاء. وإن قصة التاريخ هى قصة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين كانوا مشاعل الهداية للإنسانية الرشيدة.

وهذا الكتاب يحكى فكر الشعوب من خلال وقفة خاشعة أمام سورة «المؤمنون» التى تتحدث عن:

- الإيمان وثمراته ودلائل الحق فى العقيدة.
- فكر قوم نوح عليه السلام.
- فكر قوم هود عليه السلام.
- فكر بنى إسرائيل.
- فكر المشركين فى الجزيرة العربية.
- دعوة الحق التى جاء بها الرسول الخاتم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

دار المعارف
٤٠٧٩١١/٠١

